IJA # 2431

امراة من المكسيك

Imrāh min al-Maksīk

Moravia, Alberto

البرتو مورافيا

مختارات لكبار الروائيين العالميين

امرأة من المكسيك

الترجمة كاملة

ترجمة

شارل الخوري

دار الأدب الجديد

للمترجم

لمن يقرع الجرس	رواية مترجمة	أرنست همنغواي
خيانة زوجة	« «	البرتو مورافيا
أمرأة من المكسيك	ثلاث قصص	البرتو مورافيا
تحت الطبع :	جنين للقتل	رواية موضوعة .

* * *

الطبعة الأولى – بيروت في ربيع ١٩٦٧

جميع حقوق الترجمة والطبع محفوظة
لدار الأدب الجديد

المنزلُ مكانٌ مُقدَّسٌ

حوالي اوائل فصل الصيف ، الفى جياكومو نفسه فجأة . وحيدا تماما . كان يعتقد بأن كانت له صديقات كثيرات ، اذ كان يعرف عددا كبيرا من النساء ، ولكن ليس بأكثر من بضعة انتقالات كانت كافية لان تخلق صحراءَ من حوله . وحقيقة الامر هي أنّه ، كأي شخص آخر ، كان يتنقل وسط حلقة محدودة من الناس ، وقد خيل اليه بأن المرء عندما يكون كبيرا في السن ، مثل هذه الانتقالات تكون بلا عودة بالنسبة اليه ، وتغدو وحدته مطبقة ونهائية .

وقد اكتسب عادة النهوض متأخرا ، والمكوث في غرفته في النزل حتى وقت الغداء ، يقرأ قليلا او يدخن وهو مضطجع في سريره ، وبعد الغداء كان يخرج لفترة قصيرة ، فيشرب قدحا من القهوة في احدى الحانات ويبتاع صحيفة ما ، ثم يقفل عائدا ليقرأها في غرفته .

وفي بعض الاحيان ، واذا ما كان تعبا ، والجو اشد قيظا من المعتاد ، كان يحبان يترك الصحيفة تتساقط من يده ، ويتقيل لمدة نصف ساعة ، وحوالي بعد الظهيرة كان ينهض فيغسل وجهه ويسرح شعره ويرتدي ملابسه ثم يترك النزل .

لقد اعتاد ان يمضي ويجلس في مقهى يقوم في آنق شارع في البلدة . وفي هذا المقهى كانت تقدم جعة المانية في زجاجات صغيرة ، هذه الجعة التي كان يحبها جياكومو كثيرا فعلا . وقد

كان يحتسي الجعة المثلجة ببطء وهو يرقب المارة والناس الجالسين الى الطاولات الصغيرة .

اما جميع كسالى البلدة ، وآنق الشبان ملبسا ، وأكثر الفتيات جاذبية فقد كانوا يجعلون من امتداد هذا الرصيف ، ومن هذه الطاولات الصغيرة مكانا للملتقى .

وأمام واجهات المقهى كان يقف العديد من الناس ، متظاهرين بأنهم منخرطون في الاحاديث ، ولكن في الحقيقة كانوا يقفون ، بطريقة كسولة ، لدى تحديق مطلق شخص يصدف ان ينظر ، فيما يكونون هم انفسهم يحدقون ، الى المارة والى الآخرين الجالسين الى الطاولات . وكانت النساء النشيطات ينهضن من أمام طاولاتهن ، واللفائف بين اصابعهن ، ويمضين الى طاولات اخرى وهن يضحكن ويتحدثن بأصوات عالية . أما الخدم فقد كانوا يتنقلون بصعوبة بين الحشد وهم يحملون الصواني ، والناس يتمازحون وينادي بعضهم بعضا، ويثرثرون بدون تحفظ . وتكون ثمة ضوضاء مستمرة ، من النوع الخاص الصريح كليا ، وكأن هذا ليس رصيفا عاما ، وانما قاعة استقبال خاصة .

وفي الحقيقة اذا ما تجرأ احد الرجال المساكين بثيابه الرثة، أو حتى أحد الاشخاص الوحيدين والذين بلا صديقات ، أمثال جياكومو بالاختلاط وسط هذا الحشد ، كان يخيل اليه بالتمام ، كما لو أن قد حدث له ودخل أحد المنازل حيث لا يكون مدعوا أو مرغوبا به .

وقد كانت القضية بين اولئك الذين يجلسون الى الطاولات واولئك الذين يسيرون جيئة وذهابا امامهم ، قضية خاصة في الحقيقة . وكل هذا كان يجري تحت اشجار الدلب العظيمة ، التي كانت اوراقها الناضجة تلقي أنوارا وظلالا متلاعبة فوق الطاولات والاقداح والوجوه والثياب .

أما من ناحية الجو فيكون حارا ، ولكن دون أن يكون ثمة

احتباس ورطوبة في الهواء ، وتبدو السماء صافية ومتلألئة . وعند الغسق كان جميع هؤلاء الرواد يتفرقون ويمضون الى منازلهم ، ويرفع الخدم المظلات وينظفون الطاولات الاخيرة .

وقد اعتاد جياكومو بعد أن يحتسي زجاجة الجعة الاولى أن يشرب زجاجة ثانية ، واحتساء هذه كان يطول معه حتى وقت الغروب ، عندئذ كان ينهض ويسير الهوينا الى النزل ، وفي المساء كان يعود الى المقهى من جديد ، حيث تتكرر ذات المشاهد والتبجحات ، وذات الاستعراضات الاجتماعية ، كما في بعد الظهيرة ، غير انها في هذه المرة كانت تتكرر على مقياس أصغر ، وهي مزخرفة بأنوار الشارع .

لقد كانت الامسيات مفرحة ، بخاصة في ذلك الشارع الفسيح الطلق ، الذي يلتف صُعُداً في تعرجات عريضة ، وسط حدائق وبنايات سامقة ، والنسائم تعبر من تحت اشجار الدلب بنعومة . وكانت الاصوات تبدو واضحة وفرحة ، ووجوه النساء كانت تبدو غامضة في الظلال ، وأما المارة فيكونون أقل منهم في النهار ، بحيث يغدو في امكان المرء أن يراقبهم عن كَثَب ولمدة أطول .

وكان جياكومو يطلب « البوظة » في قدح ويشرع يأكلها ببطء ونشاط متلذذا بها ، كما لو أنه يكون قد دفع للقيام بهذا العمل بالضبط ، أكل « البوظة » ومراقبة الناس .

وكان ينتابه شعور بالهدوء والفراغ ، وفي بعض اللحظات كان يُحِسُّ بأنه قادر حتى على خداع نفسه بالتفكير بأنه يعيش تحت التأثير التام للوحدة وللحالة المنبوذة اللتين يجد نفسه فيهما. ولكن دائما ما يكون ثمة نوع من الكرب يكمن في شعوره الباطني ، وعندما يتوقعه يجده يداهم قلبه فجأة .

وفي بعض الاحيان شعوره بالتعطش للجعة والثلج هو الذي كان يؤدي به الى حالة اليأس ، وكأنه ميزة خاصة حقيرة ،

خليقة فقط بالشخص الذي لا يتوقع من الحياة شيئا اكثر من مثل هذه المتع السهلة . أو في احايين اخرى كذلك ، مجرد نظرة او اشارة او كلمة يتلقاها من غير انتظار ، من عابر سبيل مجهول ، كانت تجعله يتصور ، بالمقارنة ، كم هي حياة الآخرين اغنى من حياته .

ثم كان يشعر بحزن غامض ، ويدرك بأن سيكون عليه ، قبل نهاية الصيف ، أن يقوم بعمل ما يرد له الشعور بحريته ، اذ كان يخيل اليه في تلك اللحظات ، وبعد كل شيء ، بأنه ليس حرا ، كما يمكن لأي شخص أن يتصور ، بل على العكس ، كان مقيدا وضعيفا ، كان عبدا للوحدة التي لم يكن هو ليبحث عنها ، والتي وجودها لم يكن متوقفا عليه .

وفي احدى الليالي ، وفيما كان عائدا الى النزل بعد قضائه لساعته المعهودة في المقهى ، استرعى انتباهه نورٌ ضئيل يتسرب من نوافذ سفلى لنادٍ ليلي يقوم في الشارع عينه . وتذكر بأن هذا الملجأ الذي يقوم تحت الارض ، يستعمل كمكان للمواعيد ، تضربها النساء بحثا عن المغامرة . هذا ما قيل له على الاقل ، وقد أحب أن يرى ما اذا كان من الممكن له ، في الصيف كما في الشتاء ، أن يحصل منه على رفيقة لقضاء الليل .

وهبط بضع درجات ، ودفع بابا زجاجيا وسرعان ما وجد نفسه داخل الحانة . كان الجو معتما في الداخل بسبب الانوار المحجوبة بكثافة . وكانت حرارة الصيف المخمة ممزوجة ، بشكل كريه ، برائحة قديمة عفنة لدخانٍ متروك من فصل الشتاء .

كان وجه الساقي يبرز في النور المعتم ، أمام صفوفٍ من زجاجات الخمر خلفه ، أسودَ من الحرارة ، كما لو أنَّ الدم كله كان مجمدا في رأسه كنتيجةٍ لسكتة قلبية .. وكانت يداه كذلك تبدوان سوداوين فوق « جاكيتته » البيضاء اللامعة ، فيما كان يحركهما وراء آلة المحاسبة ، وبين آلة القهوة المغلفة « بالنيكل »

وصنبور المياه وأوعية الزيتون والانواع الاخرى من الاطعمة الخفيفة . ولم يستطع جياكومو في البدء أن يفكر بشيء يأتيه أفضل من أن يجلس فوق كرسي البار ويطلب من الساقي أن يقدم له مشروبا حلوا .

ولم يكد يستقر براحة وقد بدأ العرق يرشح منه تحت السقف المقبب المنخفض ، حتى ادرك بأنَّ الذي كان ينقب عنه لم يكن موجودا في البار ، وانما في الغرفة الصغيرة المجاورة له . ومن حيث يجلس امتد بصره يمنة الى الطرف الاقصى من المكان ، الذي يتألف من غرفٍ متتالية وصغيرة للغاية ، وفي كل غرفة من هذه الغرف كانت تقبع بضع طاولات فقط ، وبضعة مقاعد وأرائك منظمة في الخلوات التي تشكل النوافذ ، وفي تلك اللحظة كانت الغرف خالية الا من امرأتين كانتا تجلسان فوق احدى الارائك في عزلة النافذة .

وظلَّ لفترة من الوقت ، فيما كان يتفحصهما ، غير متأكد لأي نوع ومستوى من الناس يمكن أن تنتميا . كانتا ترتديان ثيابهما بطريقة محترمة ، وحتى بطريقة كيِّسة ، ولكن بدون عجرفة ، كلاهما كانت شقراء ، واحداهما كانت تبدو أنها اكبر من الاخرى بسبع أو ثماني سنوات . وكانت الفتاة الصغرى تترك شعرها مسترخيا فوق كتفيها ، وكان وجهها نضرا بدون أي تصنع ، أما عيناها فقد كانتا مزيجا من الزرقة والخضرة ، وكان أنفها مدببا ، وفمها كبيرا ، مكتنزا وأحمر . كانت بلا قبعة ، ترتدي ثيابا ريفية ، وقد خلعت « جاكيتتها » ورمت بها فوق أحد المقاعد ، وكانت تلبس قميصا يكشف عن رقبتها وعن ذراعيها .

أمّا شعر المرأة الكبرى ، فقد كان مجعدا ومموجا بشكل حريص ، وكانت تجثم فوقه قبعة دقيقة وصغيرة ، تنحرف الى الامام فوق جبهتها ، بتوازن مشوش . وكان لعينيها هي الاخرى لون فاتح ، لكن جفونها كانت ضيقة ومنتفخة قليلا ، وهذا ما

كان يضفي عليها طابعا رياثيا فاسدا ، وكانت عيناها مطليتين بالطلاء ، مثل خديها وفمها ، لكنّ هذا الاخير كان ملتويًا وبدون شفتين تقريبا .

وكانت ترتدي ثيابها بشكل أفضل من الاخرى ، بأناقة مدنية متقنة وعادية . وللنظرة الاولى قد تكون بدت أظرف من رفيقتها حتى ، أما عند النظرة الثانية فقد اقتنع جياكومو بأنّ الصغرى هي المفضلة ــ وهذا هو الواقع في الحقيقة ــ لولا افتقارها فقط ، لمظهر السيدة المحترمة التقليدي ، الذي لم يكن ليعوز رفيقتها الاخرى .

كانت المرأتان تجلسان هادئتين تماما ، بدون أن تتبادلا أية كلمة ، وقد رأى جياكومو وجه احداهما كاملا ، وهو وجه المرأة التي ترتدي القبعة ، ورأى وجه الاخرى من الناحية الجانبية . أما الشيء الذي اثبت له بصورة فجائية انهما اثنتان من بنات الهوى ، هو عزة النفس المفرطة الرفيعة ، وغير اللائقة تمامًا ، التي كانت للمرأة الكبرى ، ويداها كذلك ، اللتان كانت تضعهما فوق الطاولة ، واللتان كانتا ضاربتين الى السواد ، ولم تكونا جميلتين ، ولهما اظافرُ مطليةٌ بالطلاء الاحمرَ الارجواني . والمرأة الصغرى كانت لها اظافرُ مطلية كذلك بالطلاء الاحمر الارجواني ، لكن يديها كانتا طويلتين وشاحبتين .

« هذه كأسُك يا سيدي » . قال الساقي فجأة ووضع امام جياكومو كأسًا صغيرة ، ولكن لو كان شعور جياكومو اعتياديا في تلك اللحظة لما كان قد أوتي الشجاعة ليسأل الساقي عن المرأتين ، وإنّما كان يشعر بأنه في جو غير طبيعي ، بحيث حلّ فيه عوضًا عن الحياء احساس بعدم التحفظ ، ومع ذلك كان هذا الحياءُ ما يزال على حالهِ باطنيا ، وليس بأقل ازعاجا من السابق .

وسأله فجأة « ترى من هما هاتان المرأتان ؟ »

كان الساقي يمسح آلة المحاسبة بخرقةٍ رطبة ، فأجاب بدون

أن يرفع رأسه أو يكفُّ عن عمليات التنظيف : « لا ادري يا سيدي ، وقد كانتا هنا مساء البارحة ايضا ... لم يسبق لي قط ورأيتهما من قبل . »

على أنّ الساقي نطق بهذه الكلمات بلهجة غريبة ، كما لو أنه يفسح المجال لجياكومو ليدرك بأنهما كانتا ، بلا ريب ، امرأتين من النوع الذي بدا أنه يقصده بسؤاله .

وقال جياكومو « هل تتفضل وتأخذ لي كأسي الى تلك الطاولة ؟ »

ونزل جياكومو عن كرسي البار ، وبدون عناء اضافي ، مضى وجلس الى الطاولة التي بقرب المرأتين . والفى نفسه ما يزال في الوضع عينه بالنسبة لمنظرهما ، ما يزال يرى وجه المرأة الكبرى كاملا ، ووجه الصغرى جانبيا ، على أن الاخرى التي لم تستطع أن تتحاشى رؤيته راحت تخفض عينيها ، والصغرى ، من ناحية ثانية ، التي استطاعت أن تتجاهل وجوده تماما ، طفقت ترميه بنظرات منحرفة بطريقةٍ جريئة ، وببريق مبهم من الحبور في عينيها الخضراوين . وخُيِّل لجياكومو بأن المرأة ذات القبعة كانت عالمة بنظرات رفيقتها ولم تكن راضية عنها . ولكن من الممكن ، كما فكر ، بأن يكون على خطأ .

وجاء الساقي ووضع له الكأس فوق الطاولة ، ثم قفل عائدا الى آلة المحاسبة . لم يكن ثمة من أحد في الغرفة الصغيرة ما عدا هؤلاء الثلاثة الذين يجلسون الى الطاولة . وهتفت المرأة الصغرى فجأة وبصوت عال :

« لا يبدو أن صديقك سيأتي ... واعتقد أنها وقاحة كريهة منه . »

« صَهْ .. صه .. صه .. » همست الكبرى بتبرم .

وسألت الصغرى « لِمَ ؟ أليس في وسعي أن أتكلم الآن ؟ إذْ لم يأتِ فهذه وقاحة عظيمة منه ، كما سبق وقلت . »

وأجابت الكبرى دون ان تبدي حراكا ، وهي تجلس منتصبة ومستقيمة كما لو أنها كانت خائفة من أن تنحدر قبعتها الى ما فوق انفهـا : « حسنا ، ولكن لِمَ الصراخ ؟ »

« مَنْ يصرخ ؟ »

« أنتِ »

«هذا كافٍ اذن . فأنا لست على استعداد حتى للرد عليك.» على ان كل هذه العبارات كانت تنطق بوضوح ، بدون أي غضب، وبسرور تقريبا ، ومن الممكن ــ كما خيل لجياكومو ــ بأن تكون قد نطقت بهذا الشكل كيما تسترعي انتباهه . « حسنا اذن ، اعطينـي لفافة ! »

كان جياكومو قد وضع علبة لفائفه فوق الطاولة ، بالقرب من كأسه ، وكان متأهبا لان ينحني الى الامام ويمد يده بهـا مفتوحة . ولم تكن الفتاة بأقل تأهبا منه لان تتقبل عرضه . فشكرته وأخذت العلبة ببرود وقدمتها الى المرأة الثانية ، مستوضحة اياها عما اذا كانت تود أن تدخن . وبدت رفيقتها وكأنها تتمزق بين الرغبة بأن تقبل العرض ، وبين الشعور بالازدراء الـذي بعثته فيها حركة الفتاة الصغيرة .

« فى الحقيقة كان ينبغي الا يتقبل المرء اللفائف بمثل هذه السرعة التامة » أبدت الفتاة الصغرى ملاحظاتها بشيء من الاسف الا أنّها أخذت لفافة وقبل ان تضعها فى فمها القت نظرة الـى اسم نوع اللفائف ، ثم انحنت الى الامام عِبْرَ الطاولة نحو ولاعة جياكومو بجميع حركات السيدة المهذبة ، سامحةً للفافتها بـأن تشتعل بشهامة تامة . أما المرأة الاخرى فكانت قد اشعلت لفافتها بنفسها ، وكانت الان تنفث دخانها من خيشوميها .

« كم هو الجو حار ، اليس كذلك ؟ » قال جياموكو وهو يستدير ، بالفطرة ، نحو المرأة الكبرى ، على اعتبارهـا المرأة التي يحس أنّها ما تزال خصما . وبدا السؤال التقليدي انـه

يسرها ، كدليل على احترام غير مستحق تقريبا .

« مريع ، أنا لا اذكر مثل هذا القيظ منذ وقت طويل » قالت بلهجة المجتمع الراقي المفككة ، وهي تسحب الدخان ملء فمها ثم تعود وتنفثه من جديد دون أن تبتلعه ، وتحدق الى طـرف اللفافة المتأجج .

« اني غارقة بالعرق » هتفت الفتاة الصغرى ضاحكة ، وفيما كانت ترفع ذراعها أظهرت كيف أنّ العرقَ قد بلل قميصها تحت إبطها . وهذه الحركة جعلت قماش القميص الحريري يتمدد بشدة وببروز قوي فوق ثدييها ، بحيث بدا أنه يكشف عن ثقلهما قبل ان يكشف عن شكلهما ، ثم اردفت « من المستحيل ان يتنفس المرء فى هذا الجحر ... »

وبدا على المرأة الكبرى أنها تستهجن مثل هذا التظاهر ، فحدجت رفيقتها بنظرة مشمئزة ! ثم قالت متحولة الى جياكومو :

« إن هـذا المكان يبدو اكثر ملاءمةً لفصـل الشتاء اليس كذلك ؟ ففي الصيف تكون المقاهي التي فى الهواء الطلق هـي المفضلـة فى الحقيقة . »

وقال جياكومو مخاطبا نفسه : اذن انها تود ان تخلق جو محادثة من المستوى العادي الوسيط ، اليس كذلـك ؟ وتحاول ذلك بالرغـم من قبولها لجلوسه الى طاولتهما ، وبالرغـم من وجود رفيقتها الجريئة .

وأجاب « أجل .. المقاهي التي فى الهواء الطلق هي المفضلة بالطبـع ، وبخاصة تلك المقاهي الكائنة فى الحدائق . »

فقالت المرأة « تلك هي التي نمضي اليها دائما »

وسألت المرأة الصغرى « أي متى ؟ »

نفضت رماد لفافتها وهي تحني رأسها الى جهة واحدة ثم اجابت : « دائما ، وهذا المساء كان مجرّد حظٍ ... كنا نتوقع مجيءَ احد الاصدقاء . »

ولاحظ جياكومو بأن المرأة الصغرى قد شرعت فى الضحك وهي تقول : « انه صديق من نوع طيب . صديق لا نعرف حتى اسمه ... »

« ماذا تعنين ؟» سألت الكبرى بصوت حانق ولكن بدون ان تأتي حراكا ، ثم تلعثمت للحظة فيما تقول « إنه يدعى ... انه يدعى ميلوتسكي »

وضحكت الفتاة الصغرى مرة اخرى قائلة : « لكن هذا اسم صاحب منزلنا فما شأن هذا الرجل به ؟ »

وقالت الكبرى متحولة الى جياكومو « ان شقيقتي ستعتمد مزاحها البسيط » .

وعارضت الصغرى ضاحكة «كلا ، كلا، ليس هذا بمزاح اذ لم يسبق للرجل قط وكان صديقك . أو صديقي . فنحن تعرفنا اليه في الشارع ، ليس غير، هذا ما ينبغي ان يقال ، وهذا كل شيء » وبدت انها تسكب شيئا من العنف الشعوري في الصدق الذي تكلمت به . وكانت عيناها تبرقان ببريق الخبث وخنابتا أنفها ترتعشان .

وقالت الشقيقة الكبرى وهي تستدير نحو جياكومو على اعتبار أنه شخص ذو مقدرة أكبر على فهمها . « على كل حال ، هذا كان في أحد المقاهي ، وفضلا عن ذلك اقترب منا بأدب كبير وطلب أن يصاحبنا .. مثلما فعلت انت هذا المساء تماما » وخلصت اخيرا الى القول وهي تتحول الى شقيقتها بطريقة مفاجئة « إنْ انت تكلمت بهذا الشكل ، فالله يعلم ماذا سيظن بنا هذا الشاب الظريف . »

على ان الفتاة لم تكف عن الضحك والتلوي فى مجلسها ، وقد شع وجهها الجميل بشعاع اللهو القاسي . وقالت :

« لقد ظَنَّ وانتهى ... ظَنَّ وانتهى .. فلا تقلقي . وإلاّ لما كان جاء الينا وذلك التعبير على وجهه ... والآن اليس

كذلك يا سيد .... على فكرة ، ما اسمك ؟ اذ ليلة البارحة لم نسأل الرجل عن اسمه . والان ترى بعد ذلك ما قد حصل » .

« اسمي جياكومو » قال الشاب وهو منفعل ومنشرح في آن معا ، نتيجة لكلمات الفتاة ، ثم تابع كلامه « اجل ، صحيح اني جئت الى طاولتكما من أجل الاسباب التي تفترضينها ! ولكن من الممكن أن اكون قد ارتكبت خطأ ... »

« آه ، كلا ! لم ترتكب خطأ ، لم ترتكب خطأ . » وضحكت باخلاص .

وتدخلت الشقيقة الكبرى قائلة بعزة نفس : « أنا اسمي رينا ، واسم شقيقتي لوري . »

وشرعت شقيقتها في الضحك من جديد ، ثم هتفت : « لكن اسمك ليس رينا ، وانما تريزا . واسمي ليس لوري وانما جيوفانا » .

فقالت الشقيقة الكبرى « اني افضل رينا ولوري ، فهما اقصر .... ولكن كفى يا لوري ... »

« اليس في وسعي حتى ان اضحك الان ؟ »

« اضحكي اجل . الا انك ذات خُلق سيىء جدا . »

«انا لست سيئة الخلق » هتفت لوري ، على انها غدت جدية الان كما لو ان ملاحظة شقيقتها الاخيرة قد لسعتها فى الصميم .

وسأل جياكومو « وما هو اسم العائلة ؟ »

« بانيغاتي » أجابت رينا بحياء وهي تخفض عينيها بنظرة تكفير .

« هناك بلدة فى سيسيليا تدعى كانيغاتي » قدم جياكومو ملاحظته هذه وهو مسرور بحيائها .

« كلا ... ان اسم عائلتنا هو بانيغاتي . وعلى كل حال فنحن لسنا من سيسيليا »

« من أين انتما ؟ »

« نحن ننتمي الى فرونا » أجابت الشقيقة الكبرى ، لكن الشقيقة الصغرى غمزت بخبث ولاحظت قائلة :

« فى الحقيقة نحن ننتمي الى ميولو،على ان شقيقتي لا تحب هذا الاسم لانها تقول انه يشبه المواء الذي تحدثه الهرة .»

وسألها جياكومو « اتودان ان تشربا شيئا ؟ »

« اجل ، شمبانيا ، شمبانيا ! » هتفت الاخت الصغرى خالطة الجد بالهزل بحماس .

« اني اقترح الذهاب الى مكان ما آخر ... فما رأيكما ؟ » ورفعت الشقيقة الكبرى فردتي قفازها من على الطاولة وبدأت تدخلهما في كفيهما .

وسأل جياكومو « وماذا بشأن صديقك ميلوتسكي ؟ »

« لا يخيل الي أنه سيأتي الان » قالت رينا وهي تتحول الى جياكومو ، الا ان لوري هتفت بتهور :

« آه منه ! طبعا سوف لن نراه مرة أخرى ! واني اتوقع منه ان يكون مفلسا ، على العموم ... »

وهب الثلاثة واقفين ، وساروا باتجاه الباب . اما جياكومو فقد اتجه نحو البار ليدفع حسابه . وسأله الساقي :

« هل ستدفع حساب الكؤوس الثلاث ؟ »

« أجل ! واعطني علبة من اللفائف المصرية . »

« سيكون المبلغ ستين ليرا اذن ، بما فيه علبة اللفائف . »

واخذ جياكومو علبة اللفائف ، ودفع الحساب ، ولكن الساقي فيما كان يتناول منه المال ، انحنى له احتراما من وراء الة المحاسبة ، وتمنى له ليلة سعيدة .

واندفعوا خارجا الى الرصيف العريض ، تحت اوراق شجر الدلب الكثيفة . وكان القمر فى قمة جلاله ، وقد اضاء بعد ظلال الاشجار ، ارض الشارع الوسيع واحواض الزهور .. وبدت في ذلك الضياء الوان الزهور الخضراء والحمراء والزرقاء

والصفراء الوانا غريبة وغير اعتيادية .

وسأل جياكومو « اين سنمضي ؟ »

فأجابت الشقيقة الصغرى « الى مكان ما نستطيع ان نشرب فيه كأسا . كنت اجلس لمدة طويلة وفمي جاف ... بحيث غدا عندي عطش ... »

« اني اقترح الذهاب الى بار في سبلانديد . » قالت الشقيقة الكبرى وهي تسير فوق الرصيف ، وتخلق من حركاتها في ضوء القمر ، نوعا من الاستعراضات .

واحتجت الشقيقة الصغرى « كلا ! من أجل الله ! فالجو خانق هناك »

واقترح جياكومو قائلا « لنمضِ الى كهوف انكوس مارشيوس » .

كان هذا ملاذا قائما على مقربة منهم ، وكان يقع تحت الارض ، وهو مليء بدنان خمر رومانية اصطناعية ، وحجارة زائفة ، وبقايا خرائب مصطنعة ، وكان يوجد فيه عدد من الخلوات والغرف الصغيرة ، والزوايا المنفردة المجوفة داخل صخر بركاني ، والمحجوبة وراء بعض الاعمدة ، حيث يستطيع الناس أن يجلسوا ويتحدثوا كما يحلو لهم . ولم يبدُ على الشقيقة الكبرى أنها راضية ؛ اذ ربما ان المكان لم يكن رفيعا بالنسبة اليها . الا ان الشقيقة الاخرى كانت تتشبث بذراع جياكومو بشدة ، وهي تقول « اجل ، لنمضِ الى ذلك المكان . لنمضِ الى الكهوف . ولكن مَنْ هو انكوس مارشيوس ؟ »

« كان ملكا على روما ! »

وساروا الهوينا فوق الرصيف العريض والمهجور ، حيث بلغوا مدخل « المغارة » ! وكان ثمة سلّم من الآجرّ الاحمر يؤدي الى الملاذ الارضي في الاسفل . وعند المدخل كان يوجد اثنان من دنان الخمر الكبيرة ، بشكلان اسلوب الزخرفة . وعند اسفل المقطع الاول من السلّم كانت توجد لوحة حجرية مسودة ومشوهة ، تحمل خطوطا مضحكة باللاتينية المختلطة .

وبعد أن عبروا هذه اللوحة الحجرية ، وغامروا بهبوط القسم الثاني من السلّم ، دخلوا في جو كانت ممزوجة فيه رائحة دخان التبغ ، ورائحة الخمر والعفونة العامة ، وقد استقبلهم ضجيج اصوات وموسيقى عميقة ونائية .

كانت المغاور جد كبيرة ، ومليئة بالالتواءات ، والتعرجات ! ومن عند اسفل السلّم كانت تبدو ، تحت تدببات السقف الملتوية المنخفضة ، صفوف من الطاولات الكبيرة وعليها زجاجات صغيرة من النبيذ ، وقد جلس الناس من حولها . اما المكان فقد قصد به ، بما فيه من قناطر واعمدة وركائز وما شابه ، ان يقلّد البناء الروماني البدائي الذي يقوم تحت الارض .

وهتفت لوري فيما كانت تصفق بيديها « آه ما اجمله ! انه مكان قديم حقا ، اليس كذلك ؟ انه يبدو مثل ... ماذا تسمي تلك الامكنة التي اعتاد ان يجتمع فيها المسيحيون تحت الارض ؟»

قال جياكومو « سراديب »

«تلك هي بالضبط . سراديب . لم تأتي بي الى هنا مطلقا ؟»

فقالت شقيقتها الكبرى « في الحقيقة ، لم يسبق لي قط واحببت هذا المكان .»

وفيما كانوا يعبرون ، راح الناس ينظرون اليهم بدون أي فضول . ومعظم هؤلاء كانوا شبانا غير متكبرين يجالسون صديقاتهم بالاضافة الى بضع جماعات اكثر تحلقا كذلك يشربون الخمرة، ويهزلون بأصوات عالية كان رجع صداها يردد تحت السقف المقبب . وفي الطرف القصي على مسافة بعيدة منهم ، كانت تبدو ايدي ثلاثة أو اربعة عازفين على الجهير والكمان تروح وتجيء وهم يجلسون على منصة صغيرة .

وقال جياكومو « هيا بنا نجتاز هذا المكان »

وبعد ان ساروا حول الموائد فى الغرفة الاولى ، دلفوا الى ممر جد ضيق ، يقوم بين جدارين من الاجرّ الاحمر ، حيث افضى بهم الى غرفة صغيرة على طراز غرف بومباي . وكانت الرسوم فوق جدران هذه الغرفة محصورة ببعض اقسام

غير كاملة ، تمثل فوق لونٍ أحمرَ معتم ، ملائكةَ الحب ، واشخاصا خرافيين نصفهم الاعلى من البشر ، ونصفهم الثاني يشكل جسم المِعَز ، بالاضافة الى رسوم نساء عاريات . وكان الهدف منها موجها لخلق طابع الترميم الرائع والدقيق .. على ان بعض الزبائن كانوا يسجلون اسماءهم بقلم الرصاص فوق رؤوس هذه الرسوم ، مصحوبة بعلامات تعجب او سخرية . ومن السقف كان يتدلى فانوس مصنوع من الحديد . وكانت تشغل المسافة في الغرفة طاولة كبيرة بالاضافة الى بضعة مقاعد .

جلس جياكومو الى رأس المائدة ، وجلست الشقيقة الكبرى الى يمناه ، والصغرى الى يساره . وسألهما : « ماذا تودان ان تشربا ؟ »

واجابت لوري « أي شيء تحبه انتَ .. على اعتبار انه سيكون لذيذا »

وقالت شقيقتها بأنها تحب المشروب الحلو ، ولكن ظهر لهم أنه ليست لديهم مشروبات حلوة هناك .

فقال النادل « ان لدينا تشيانتي واورفياتو أحمر او ابيض ، في علب ، ونبيذا فى زجاجات . »

« أية انواع من النبيذ الحلو عندكم ؟ »

« مارتشالا .. باسيكو .. اليوتيكو .. »

« اجلب لنا بعضا من نبيذ اليوتيكو ... »

وقال جياكومو مستأنفا الخوض فى الحديث الماضي « اذن، انتما من ميولو . »

فأجابت الشقيقة الصغرى « أجل ، الا انني اعيش في ميلانو، وشقيقتي تعيش هنا . وبين الحين والآخر نقوم بزيارة بعضنا . فآتي أنا لاراها هنا وابقى معها .. ثم تمضي هي لزيارتي وتبقى معي .»

وقالت رينا الشقيقة الكبرى « أنا لا أحب ميلانو . فجوها مصقع في فصل الشتاء وقد كنت مريضة وفي حاجة للشمس . »

وسألها جياكومو « مِمَ كنتِ تعانين ؟ »

« اني نحيفة قليلا » اوضحت له وهي ترفع يدها الى صدرها .

ولاحظ جياكومو بأن صدرها كان في الحقيقة مسطحا ونحيلا . الا ان وجهها ، باجفانه المنتفخة قليلا ، كان له تعبير رديء ، بحيث اثار فيه حب الفضول .

وقالت لوري « ليست هذه الحقيقة الواقعة ، والسبب هو ان عندها صديقا هنا . »

وسأل جياكومو « وماذا يفعل ؟ »

« انه رجل اعمال » أجابت الشقيقة الكبرى بذات الحياء الذي نطقت به منذ وقت قريب بأن اسم عائلتها هو بانيغاتي !

« انه يبيع الجبن » قالت الشقيقة الصغرى ، ثم ضحكت وضغطت على انفها باصبعين كما لو انها تحاول ان تدل الى ان عشيق شقيقتها يفوح برائحة مهنته .

وجاء النادل بالنبيذ ، وعندما فتح الزجاجة ، راح جياكومو يسكب الاليوتيكو في الاقداح الخضراء الكبيرة .

وهتفت لوري وهي تنظر الى جياكومو « انه لذيذ . انه طيب وحلو » .

فأكدت شقيقتها « انه اليوتيكو . »

واتى جياكومو على نهاية كأسه بجرعة واحدة ، ثم ملأ لنفسه كأسا اخرى . والمرأتان كذلك انهيتا كأسيهما بسرعة ، بحيث اعاد جياكومو ملأهما في الحال . وعندئذ استدعى النادل وطلب منه زجاجة ثانية . واستوضح جياكومو برزانة « اين هو صديقك في الوقت الحاضر ؟ » .

« انه مسافر »

وقالت الشقيقة الصغرى ضاحكة «آه ، ليس ثمة من خوف لوصوله على حين غرة ، فهو دائما يرسل برقية ، وحتى احيانا يتصل هاتفيا ، فانه يتصرف بطريقة جيدة . »

فقالت الشقيقة الكبرى بانفعال « لوري ، لا تتكلمي عنه بهذا الشكل . فأنت لا تعرفينه حتى . »

وهتفت الصغرى بفظاظة « ليس هو بجد مدهش بهذا الشكل ، وانت على صواب تام في قضية خداعك له ، ولا اجد انك ترتكبين اية هفوة بذلك . »

ولم تفه الشقيقة الكبرى بأي شيء . وأحس جياكومو بان عليه ان يتغلب على رينا ، او على الاقل ، ان يحرز نوعا من التقدم عليها . وبدون ان يأتي بأي اشارة مد يده من تحت الطاولة والقى بها فوق ركبتها .

وحدجته هي بنظرة ريائية ثم سألته « وانت ... من أين ؟ »

« من انكونا » أجاب جياكومو .

وسارت يد جياكومو من ركبتها الى فخذها ، دافعة الثوب الى الوراء بخشونة . كانت ترتدي حول فخذيها اربطة جوارب جد شديدة ، وفوق هذه الاربطة كان لحم فخذها العاري منتفخا لدرجة الانفجار تقريبا . وكانت ترتدي قميصها الداخلية تحت « التنورة » باتقان ، وكانت ذات اشرطة حريرية مزركشة ،وازرار وطراز معقد من الحمالات .

« ان انكونا لبلدة جميلة .» قالت دون ان تحرك او تقاوم يد جياكومو .

وفي هذا الوقت كانت «تنورتها » قد دفعت ، بغير لباقة ، الى جانب واحد ، بطريقة ظهرت فيها فخذ واحدة بيضاء فى حين ان الفخذ الثانية لم تظهر .

وهتفت الشقيقة الصغرى فجأة ، ولكن بدون أي دليل للغيرة :

« هل تظن حقا اني لا استطيع رؤيتك ؟ ولكن استمر ، استمر ... لا تأبه بي . »

فسحب جياكومو يده ، وشعر بالاسف لما قد اقدم على فعله ، وقد فكر اخيرا بانه يقوم بما تريده هي ، ليس غير . ولذا عاد ليضع يده فوق فخذها العارية مرة اخرى ، وبكيفية ما ، وكيما يكون جد عادل فقد لف ذراعه الاخرى حول وسط

الشقيقة الصغرى . فضحكت هذه وراحت تنظر اليه نظرات جانبية بعينيها الخبيثتين ، فيما كانت تحمل كأسها على مقربة من فمها . وانحنى جياكومو الى الامام ومسح عنقها بشفتيه .

وهنا دفعت الشقيقة الكبرى يد جياكومو بعيدا ، وسوّت من « تنورتها » . ولم يبدُ عليها انها فعلت هذا بداعي الغَيْرَة من شقيقتها ، وانما من اجل الحشمة فقط ، اذ إنّ بعضَ الناس كانوا يمرون فى تلك اللحظة في الطرف الاقصى من الغرفة .

وسأل جياكومو لوري « ماذا تفعلين فى ميلانو ؟ »

« ماذا افعل ؟ » رددت ضاحكة .

واجابت الشقيقة الكبرى للحال «انها تعمل كنموذج للفنانين»

« لقد كنت اعمل كنموذج » اعترضت الشقيقة الصغرى وهي تؤكد على صيغة الماضي بضحكة . « اما الان فاني اقوم بالمهنة التي تقوم بها هي هنا ... »

وسألتها الشقيقة الكبرى بكدر « لمَ تقولين هذا ؟ تحاولين ان تظهري نفسك بمظهرٍ ما يختلف عن ذلك الذي أنت فيه . »

« اصغي الي الان » قالت الشقيقة الصغرى بتؤدة متظاهرة بدهشة عظيمة وقد كانت الان تشعر بالنشوة من جراء الشرب ، وعيناها الجميلتان لا تنفكان تتبدلان بطريقة غريبة ، وتحدثان تنويعا في تعابيرهما وحتى في لونهما . « اصغي الي ... وماذا بشأنك انتِ ؟ فبمَ تقومين، وذلك بناءً على تقديركِ الذاتي ؟ »

فأجابت رينا بهزة مشمئزة من كتفيها . « انا لا اقوم بأي شيء . فاني سيدة ... واعيش حياتي الخاصة . »

« اصغي الى ما سأقول فقط ! حسنا ، اذن هذا ما افعله انا كذلك . فانا سيدة واعيش حياتي الخاصة ... وفي المساء اعتمر قبعة وادخل احد المطاعم او المقاهي واروح انتظر دعوة ما ... »

لم تنبس رينا ببنت شفة . الا انها حدقت الى شقيقتها بكراهية . واخيرا قالت محذرة جياكومو :

« لو مضيت تاركا اياها تشرب بهذا الشكل ، فسوف

تكتشف بسرعة الشيء الذي هي تشبهه بالفعل .. »

واحتدت لوري فجأة ، فصرخت « اولا انا لست سكرى ، وعلى كل حال فالوضع مختلف بالنسبة للسيد جياكومو ، فهو لا يضفي على نفسه مظاهرَ بالطريقة التي تتبعينها انتِ . »

« والآن ، والآن ! » هتف جياكوما باسترخاء ، وهو يربت على ركبة الشقيقة الصغرى . على انها لم تولِّ أي انتباه ، وهكذا انتهز الفرصة والقى بيده فوق فخذيها ، وكانت هي تجلس وساقاها متلاصقتان ، ومهما كانت يد جياكومو تبحر بعيدا فوق فخذيها ، فلم تكن تصطدم بأي اثر للجوارب ، او الالبسة الداخلية ، او القميص الداخلي الشفاف ، او أي لباس آخر . ومن فخذيها اللتين كانتا باردتين وناعمتين وشديدتين ــ بعكس فخذي شقيقتها تماما ــ استمر صُعُدًا على طول وركها حتى بلغ بدون أي عائق، بطنها الذي، ربما نظرا الى وضعها وهي جالسة ومنحنية الى الامام ، كان بارزا وملتويا على ذاته ، وقد بدا أنه مستدير وممتلىء .

لقد كانت عارية تحت ثوبها الخارجي ، بطريقة ساذجة وبدون أي دوافع مبيتة ، وانما لان الجو كان حارا ، وكان مما يبعث على السرور بالا يشعر المرء بان ثيابه ملتصقة ببشرته . وفي هذه الغضون لم تأبه الفتاة باستكشافاته ، وانما استمرت تصرخ بشقيقتها :

« على كل حال ، انا صريحة تماما بشأن العملية ... فلا احاول التظاهر بالعيش مع رجل خاص ، ثم آتي بشخص آخر الى المنزل في كل ليلة . »

وظلت شقيقتها صامتة ، تحدق اليها بدون ان يرف لها جفن ، وقد انحدرت قبعتها الى ما فوق عينيها الضيقتين تماما .

« اني صريحة تماما بشأن العملية ... » رددت الفتاة الا انها بدت اقل عنفا ، وكما لو انها كانت تبدي ندما على عنفها . ثم امرت جياكومو فجأة محولة غضبها اليه « اهدأ انت ! . »

فقالت شقيقتها « قلت لك بانه كانَ ينبغي الا تتركها تشرب »

وكان جياكومو نفسه يشعر بانه نشوان من الخمرة . واكثر من ذلك ، فقد اثاره عري الفتاة الغض والصريح . وهذا المزيج من السكر والاثارة خلق فيه ، على الفور شعورا بنفاد الصبر .

« ما رأيك ؟ » همس مخاطبا لوري فى اللحظة التي كانت فيها رينا منهمكة بتركيز لفافة في المبسم الطويل . وتابع « ما رأيك في ان نمضي نحن الاثنان ، ونتركها .. ؟ »

ولكن لشد ما كانت دهشته كبيرة ، اذ ابدت الفتاة وفاء غير متوقع نحو شقيقتها . فاجابت :

« عليك ان تتكلم اليها . اذ عندما اكون جالسة بحضورها ، فهي التي تقرر كل شيء .»

واستدار جياكومو الى الشقيقة الكبرى وهو مندهش قليلا، وقال مخفضا صوته :

« اعتقد انه قد يكون من الافضل لو ذهبت ... او يمكن ان امضي الى مكان ما آخر .. وطبعا مع واحدة منكما فقط . »

فقالت رينا على الفور « مع واحدة منا ، هذا ليس ممكنا طبعا . إمّا مع الاثنتين وإمّا بدوننا معا . »

« لماذا ؟ »

« لماذا ؟ لان هذا ما نحن الاثنتان متفقتان عليه »

وسأل جياكومو نفسه بدهشة : ماذا سأفعل بأمرأتين بحق الشيطان ؟ وفكرة كونهما شقيقتين بدت له غريبة وحديثة العهد . وسأل : « وكم تطلبان انتما معا ؟ ... »

« في وسعك ان تعطينا خمسماية لير . لكل واحدة منا مئتا وخمسون ليرا »

ولم يستطع جياكومو الا ان يخاطب نفسه بان هذا كان مبلغا كبيرا . على ان لهجة رينا كانت تبدو انها تستبعد أي نوع من المساومة . فقال :

« حسنا ، ولكن الى اين سنمضي ؟ »

فأجابت « سنمضي معك الى المنزل . »

كانت تتكلم بهدوء وبصوت طبيعي . وتظاهرت شقيقتها

الاكثر حياء منها ، وقد اخذت جرعة من الخمر ، بانها لم تسمع .

فقال جياكومو « ليس لي منزل . فانا اعيش فى نزل . »

فقالت بتردد « اذن ، لست ادري ! »

« ولكن اليس فى وسعي ان امضي الى المنزل معكما ؟ »

« المنزل ! » اجابت ببطء ، وبنوع من الغطرسة البلهاء . « المنزل مكان مقدس ! »

« طبعا نظرا لاصطحابها الناس اليه دائما . » هتفت الشقيقة الصغرى بفتور ، وقد بدا سكرها الان بأنه قد غدا فى افضل حالة من حالات حنقها .

« مَنْ عليّ ان اصدق منكما ؟ » سأل جياكومو ، ثم راح يتوسل وقد ادرك بانه قد ارتكب خطأ . « ارجوك ، لمرة واحدة فقط ... هذه المرة فقط . » وفيما كان يتكلم امسك بيد رينا .

فضحكت رينا وهزت رأسها « كلا ، كلا ، ليس في المنزل . هذا مستحيل ! »

« ولكن لماذا ؟ »

« ذلك مستحيل »

ورأى جياكومو أن عليه أن يقدم اقتراحا آخر فقال :

« حسنا اذن ، لنمضِ الى فندقٍ ما »

« ينبغي الا احلم بهذا . اذ إنهم يسألون عن الاوراق هناك ! .. »

وهتفت الشقيقة الاخرى بنغمة ارتباك غريبة في صوتها :

« ما اسم ذلك الفندق الذي ذهبنا اليه منذ بضعة ايام ، مع ذلك الرجل ؟ ... اتعلمين ، فندق كورونا ؟ »

وقال جياكوما متضاقيا « حسنا ، اذن ليس ثمة من شيء الا ان اقول وداعا خلال بضع دقائق . »

وتبع ذلك هدوء شامل . وراحت رينا تدخن بطريقة مهذبة ، ساحرة وغامضة ، وقد تركزت عيناها المتورمتان على جياكومو ، وسألته اخيرا :

« كم تعتقد بأنك ستدفع عنا نحن الثلاثة ؟ »

« لست ادري .. خمسين أو ستين ليرا ... »

« اكثر من ذلك ، لانك كنت ستضطر الى حجز غرفتين ، واحداهما تكون مزدوجة .. لكنت دفعت مئة ليرة على الاقل .»

« ماذا تعنين ؟ »

« إن كنت تعدني بأنك لن تحدث اية جلبة .. فاعطنا المئة ليرة تلك التي كنت ستصرفها في الفندق ــ أي ستعطي كلا منا ثلاثماية ليرة ــ ثم يغدو فى وسعك ان تأتي معي الى المنزل .»

وشرعت الشقيقة الصغرى في الضحك للارتباك الذي كان يظلل وجه جياكومو ثم قالت :

« أليست شقيقتي ذكية ؟ » واحنت رأسها على الطاولة ، ووضعت وجهها الجميل والنشوان بين يديها ، ثم اغلقت عينيها .

وقال جياكومو « حسنا ، ولكن لنمض فى الحال ! »

« هيا بنا ! »

وهبّ الثلاثة واقفين ، اما الشقيقة الكبرى التي بدت أنها في عجلة من امرها ، فقد سارت امام الاثنين الاخرين ، وغابت عن الانظار في الممر الضيق ، بين شاهدات الاضرحة ، والقناطر المصنوعة من الآجرّ . واقترب جياكومو من الشقيقة الصغرى وشدها اليه ، الا انها راحت تقاوم بحركات ماجنة مبالغ فيها ، كما لو انها تشير الى ان شقيقتها قد تلاحظ هذا ، ثم تركته يقبلها . وفي الحال تقريبا انفصلا عن بعضهما ، وقالت له هي ، والبسمة على وجهها :

«القبلة تحسن من امرك ، بين الحين والآخر ، أليس كذلك؟»

« أجل ، من الاكيد أنها تحسن من حالة المرء ! »

واندفع الثلاثة خارجا ، عابرين الطاولات وغرف المأوى القائم تحت الارض الصغيرة والعديدة ، وكانت جلبة الاصوات وقعقعة الكؤوس ، وصوت الموسيقى ترجع بشكل جهوري ومشوش تحت السقف المقبب ، وقد بدا الجو كثيفا وعابقا بالدخان اكثر مما كان عليه عندما دخلوا .

وتصور جياكومو بأنه هو ايضا افرط في الشرب . وفي الشارع

بدا الجو اشد قيظا مما كان عليه في «المغاور» لقد كان الهواء ساكنا تماما تحت اشجار الدلب، والنور الذي كانت تبعثه مصابيح الاعمدة لم يكن يضيء الا فوق عرمة لا نهاية لها من اوراق الشجر الملتصقة ببعضها والساكنة فوقهم .

«علينا ان نأخذ سيارة تاكسي» قالت الشقيقة الكبرى بلهجة مفصلة فخمة لسيدة تخرج بعد حفلة استقبال او مأدبة عامة . وهكذا ساروا هابطين الى الساحة القريبة . ولكن لم يكن ثمة اي أثر لسيارات التاكسي فيها .

«اين يقع منزلك؟» سأل جياكومو ببهجة وقد كان الان يمسك بذراع كل من المرأتين ، تاركا اياهما تقودانه تقريبا .

«المنزل مكان مقدس !» قالت الشقيقة الصغرى ضاحكة . وذكرت الشقيقة الكبرى اسم الشارع ، وكان هذا الشارع على مسافة جد بعيدة منهم وفي منطقة تقع في ضواحي البلدة .

فقال جياكومو «الشيء الوحيد الذي في وسعنا ان نفعله هو ان نركب الباص، وعندما نصل الى نهاية الخط نستقل الترام» .

وقد كانت هذه هي الوسيلة الوحيدة التي ينبغي اتباعها فعلا .

ومن حسن الحظ ان الباص بعد ذلك جاء خلال وقت قصير . فصعدوا اليه، وابتاع جياكومو ثلاث تذاكر . ثم ساروا وجلسوا في الباص الذي كانت نصف مقاعده خالية. وقد اتخذت الشقيقة الكبرى مجلسها فوق مقعد فى المقدمة اما جياكومو والشقيقة الصغرى فقد جلسا خلفها فوق المقعد عينه.

وقالت الشقيقة الصغرى بصوت عال حالما سار الباص.

«طبعا ان الفندق بالنسبة اليك سيكون افضل، اذ ستضطر الان الى السير طوال الطريق عند عودتك ... ولكنهم يحدثون ضوضاء كبيرة فى الفنادق هنا ... ففي ميلانو اعرف فندقا لا يوجهون فيه اية اسئلة ولا يطلبون اليك ان تدفع مقدما حتى..»

واستدار شخص او شخصان من الناس الجالسين في المقاعد في المقدمة، وحدقا الى جياكومو وصديقته، ولكن احدا

لم يبتسم لان الوقت كان متأخرا ، وقد بدا كل فرد تعبا . ومضى الباص يسير عبر الشوارع الضيقة بعنف متهور مجتازا واجهات المباني. واستدارت الشقيقة الكبرى وقالت لجياكومو باسلوب توكيدي :

« هل سمتكث كثيرا هذه المرة ؟ كم ستكون فرحة زوجتك عظيمة! فطبعا هي لا تراك كثيرا وانت تقوم بكل هذه الاسفار!»

وقالت الشقيقة الصغرى ضاحكة « زوجته ! هل تعرفين انت زوجته ؟ وهل انت متزوج ؟ »

«اجل زوجك انت» اجاب جياكومو ضاحكا وآخذا يدها بين يديه. لكنها افلتت نفسها وحذرته قائلة بقساوة مفرحة «انتبه ان شقيقتي تراقبنا»..

فقال جياكومو «إن المنزل مكان مقدس!»

وكان ثمة شخص او شخصان كذلك ينظران اليهما بفضول. واستدارت الشقيقة الكبرى وسألت « لِمَ لا تستطيعين ان تهدإي للحظة؟».

فأجابت الشقيقة الصغرى « سأتكلم بقدر ما اريد . »

وعند تسلمها لهذا الجواب ، سوّت الشقيقة الكبرى من وضعها بعزة نفس ، وادارت لهما ظهرها عن عمد . وكان واضحا الان انها كانت تحاول بيأس بأن توحي للناس الآخرين فى«الباص» بأن ليس لها ما تأتيه مع هذين الفردين اللذين كانا يجلسان وراءها . وفتحت حقيبتها وشرعت تضع المسحوق فوق وجهها . واستطاع جياكومو أن يرى ، فى مرآة علبة مسحوق الوجه الصغيرة، عينيها قاسيتين ومليئتين بالخلق السيىء، وهما بين جفونها المنتفخة .

وبلغ « الباص » مكان توقفه النهائي ، وتوقف فى باحة معتّمة ، واستطاعوا وهم يخرجون منه ان يروا ، وليس على مسافة بعيدة، مصباح الترام الرئيسي الاصفر المستدير، عبر اوراق اشجار البلح البارزة والمعتمة ، في الحديقة العامة .

«هذا هو الترام الذي سنستقله» هتفت الشقيقة الكبرى

وهي تسرع خطاها .

لقد كان الترام مكتظا بالركاب تقريبا ، وبكيفية ما وجدوا لهم ثلاثة امكنة في ذات الوضع الذي كانوا فيه في «الباص»، فجلست الشقيقة الكبرى فى المقعد الامامي، وجلست الصغرى مع جياكومو خلفها .

وفي المحطة الثانية صعد الى الترام بعض الاشخاص، ومن ضمن هؤلاء كان ثمة رجل يناهز الخمسين من العمر ، ذو رأس مخروطي الشكل ، وشعر اشيب ، متوج بقبعة سوداء مصنوعة من اللباد. وكانت جميع ثيابه سوداء ، أما قميصه فقد كانت بيضاء مع ياقتها ، ما عدا رباط العنق الذي كان أسود . وكان له انف بارز وطويل ، ذو طرف كثيف وأحمر، يقوم وسط وجه يبدو وكأنه مصنوع من الخشب . وجلس هذا الرجل بعنف الى جانب رينا وحياها بأن رفع لها قبعته عن رأسه للحظة ، بذات الطريقة التي ترفع بها غطاء عن وعاء للطبخ .

وسأل جياكومو « وأي متى ستعودين الى ميلانو ؟ »

فقالت الفتاة « ليس الان ... فهذه المرة اود ان امتع نفسي ... وشقيقتي تمضي بي الى جميع الامكنة الجميلة ... حيث نلتقي باشخاص ، كرجل ليلة البارحة،لا يحفظون مواعيدهم. وفى الحقيقة أنا افضل المطاعم حيث يقصد اليها رجال الاعمال . وقد قيل لي بأن ... » وذكرت اسم مطعم معروف تماما ثم اردفت « انه المكان الاكثر ملاءمة ... »

وثارت شقيقتها فى مقعدها ، الا انها لم تستدر .

وقال جياكومو « أجل ، الطعام جد لذيذ فى ذلك المطعم.»

واستمرت الفتاة تقول « أود ان امتع نفسي . ولكن ما اسم ذلك المكان الذي يقام فيه كل ليلة الرقص والالعاب المختلفة ايضا؟»

« إيدن ! » أجاب جياكومو .

«لقد ذهبت الى ذلك المكان مع أحد الرجال، منذ مدة. وقد كان من الجنوب ، على انه كان يعرف كيف يصرف المال ... ما رأيك بالذهاب الى ذلك المكان فى احدى الليالي ؟ »

« بالطبع ، ولِمَ لا ؟ »

« إني احب مثل هذه الامكنة كثيرا . » خلصت أخيرا الى هذا القول ، ولم يَفُه جياكومو بأي كلمة . وتابعت الفتاة تقول « اذا حضرت الى ميلانو ، ستأتي وتزورني ، أليس كذلك ؟ »

« أين تسكنين ؟ »

فأجابت وهي تحدق به بشيء من الرضى المخمور . « سأعطيك عنواني ، وتستطيع ان تأتي لحظة تشاء . فمنزلي ليس مكانًا مقدسًا . »

واستدار الرجل ذو القبعة المصنوعة من اللباد ، ونظر الى جياكومو والى الفتاة نظرة باحثة متمهلة . وقد كان مؤخر رقبة وكتفي رينا ساكنا جدا بحيث إنَّ هزات الترام فشلت فى أن تهزه.

واستأنفت الفتاة كلامها بعد لحظة :

« ان النبيذ الذي سقيتنا اياه قد صعد الى رأسي ، على أنه كان لذيذا طبعا . »

وتوقف الترام، وهبت رينا واقفة ومضت باتجاه الباب بدون أن تنطق بأي كلمة. ووقف أيضا الرجل ذو القبعة السوداء ، وحيا رينا مرة اخرى بأن رفع لها قبعته فيما كان يمر من أمامها وقد كانت تتوقف لبرهةٍ ؛ وردت على تحيته بأسلوب مبجل لطيف ، كما لو انها كانت جد شاكرة له مثل هذه الحشمة، بعد حديث شقيقتها.

وهتفت لوري وهي تقف بدورها . « الى أين انت ذاهبة؟ فهل هذه هي محطتنا ؟ »

لم تقل شقيقتها شيئا ، وانما اندفعت خارج الترام ، وتبعها جياكومو ولوري ، وشرع الترام فى سيره من جديد ، وكان الثلاثة قد اتحدوا مرة اخرى فوق ارض الشارع الفسيحة والسوداء الناعمة . وكانت تحد هذا الامتداد الذي لا شكل له على جوانب ثلاثة ، بنايات عالية ، لها عدة نوافذ مضاءة هنا وهناك . ولكن امامهم وعلى بُعْدٍ مرئي متألق ومقفر، كان ثمة صفان من أعمدة المصابيح يمتدان لمسافة طويلة ، بقدر ما تستطيع

العين أن تمتد على جانبي ما بدا انه شارع ممهد ومعبد بحرص ، وخالٍ كليا من المنازل .

وسألت الشقيقة الصغرى وهي تنظر حولها « هل منزلنا هناك ؟ دائما أنا اضل ... »

وانتظرت الشقيقة الكبرى الى أن غاب عن الانظار الرجلُ الظريفُ الذي يرتدي الثياب السوداء، والذي نزل من الترام في ذات الوقت ؛ وعندئذ تكلمت بلهجة عنيفة وقاسية :

« نعم ، إن منزلنا هناك...ولكن افهمي بوضوح الان ... ان هذه هي المرة الاخيرة التي تأتين فيها للاقامة معي ... »

«آه! ولكن لِمَ؟ ما القضية؟»

واستمرت الشقيقة الكبرى ، وفيما كانت تتكلم بدا عليها أنها تزداد غضبا اكثر فأكثر . « لقد أخبرتك مرارا وتكرارا بألا تتكلمي هكذا، وعلى الاقل في المنطقة التي اعيش فيها، وفي الترام الذي استقله كلَّ يوم ، ولكنْ لا شيء من هذا مطلقا ... لا تقومين بشيء الا بخلق الملاحظات الحمقاء طوال الوقت ... وبأعلى صوتك ايضا ... »

«ولكن ما الشيء الذي فهت به؟»

وتابعت رينا «كلُ واحد ممن في الترام يعرفني. فماذا سيظنون بي؟ لقد رأيتِ الرجل الظريف الذي كان يجلس بقربي ــ انه بيشيو المحامي ــ وهو يعيش فى البناية ذاتها ... وبابه بمواجهة بابي ... فماذا سيظن بي الان؟ .. باني اشغل شقيقتي .. باني اصطحب الرجال معي الى المنزل ... »

«ولكن ماذا يهم ذلك بالنسبة اليك؟»

«انه يهم كثيرا بالنسبة الي. لا اريد ان يقول عني الناس اشياءَ من وراء ظهري . »

« اصغي الي الان ! » وقفزت الشقيقة الصغرى وانتصبت في وسط الساحة ويداها فوق وركيها « اصغي الي،لقد ضايقتِني جدا بكل هذا الهراء. وبعد كل شيء، فما هو الامر الذي سيعرفه زملاؤك في المسكن؟ الحقيقة ... آه امضي الى الشيطان! »

وقامت بقفزة اخرى وعادت الى جانب جياكومو .

وقالت الشقيقة الكبرى « حسنا اذن ولكن هذه هي المرة الاخيرة التي اطلب فيها منك بان تبقي فى زيارتي . »

وراحوا يسيرون بهدوء لفترة من الوقت. ثم تقدمت رينا من باب مدخل احدى البنايات ، وقالت لجياكومو بلهجة خفيضة فيما كانت تدير المفتاح فى القفل . « والان ، ارجوك كن هادئا ! »

وكان للرواق الذي دخلوا اليه افريز من الرخام الاسود ، وعدة فوانيس زجاجية بارزة ، على شكل النجوم ، تعكس على الجدران رسوما مسطحة لا حصر لها . ومن قلب الرواق دلفوا الى قاعة يقوم فيها السلم. وسارت رينا حول محور المصعد ، وتوقفت امام باب فى الطابق الارضي ، فى نهاية الممشى. وفيما كانت تندفع الى الداخل استحثتهما من جديد قائلة « بهدوء »

وعندما اصبحوا فى الداخل ، أنارت رينا مصباحا كهربائيا ضمن مكعب زجاجي ابيض. وبدا المسكن انه مزخرف على الطراز الحديث. وفي كل مكان من المسكن كانت توجد قطع من المفروشات على شكل علب، ومصابيح مصفحة بالكرومي، وطاولات زجاجية، وكراسي مجوفة. وقادت رينا جياكومو عبر ممر ضيق الى باب مغلق وهي تقول له :

« يمكننا ان نسير رأسا الى غرفة النوم ! »

لقد كانت الغرفة صغيرة ، وكان السرير المزدوج الوسيع والوطيء ، يشغل الغرفة كليا تقريبا ، وكان فوق السرير غطاء خارجي كان تصميمه يتكون من عدد من المربعات، المربع ضمن الآخر، وكل مربع كان يضفي ظله بلون مختلف، فمن الازرق الى البنفسجي والاحمر والبني. وهذا النوع من القماش كان ظاهرا كذلك فوق الكراسي الصغيرة وفوق كرسي بساعدين. وكانت ثمة خزانة تتألف من قطع مختلفة مجموعة الى بعضها ، ولها قسم للمرآة في وسطها تشغل احد الجدران كليا. وفوق طاولتي السرير كان يوجد مصباحان كهربائيان على شكل كرة .

وكل شيء كان جد نظيف ، ولكن بالرغم من الوان دثار السرير الزاهية ، فقد كانت جميع هذه الاشياء تبدو ، بنوع ما ، باردة وكئيبة. لقد كانت اشبه بغرفة في فندق حديث بسيط.

وخلعت رينا قبعتها بحرص ووضعتها فى الخزانة ، ثم مضت الى احدى الزوايا ، وفيما كانت تخلع ثوبها من فوق رأسها بدت فى لباسها الداخلي الاسود الشفاف . ولا حظ جياكومو انه بالكاد كان يبدو ان لها صدرا ، الا ان شكلها كان شهيا ، وكان لها ردفان عريضان ، وساقان كبيرتان ، وربلتان (١) مكتنزتان باللحم . ولم يكن جياكومو يدري ماذا يفعل . الا انه ، عندما اصبحت رينا قريبة منه لفّ يده حول وسطها . وسمحت هي لنفسها بان تقبل بكياسة حلوة ، ولكن ببرود . وقالت له :

«في وسعك اذا شئت، ان تمضي وتخلع ثيابك هناك في غرفة الحمام ... »

وانحنت فوق السرير كيما تسحبَ الغطاء الخارجي ، وبالفعلة هذه رفعت ساقها المغطاة بفردة الجورب الحريرية ، مبيّنة أنّ رباطَ هذا الجورب كان جِدٌّ ضيق بحيث جعل لحم فخذها ينتفخ ويخرج عن نطاقه . وبعد ان سحبت الغطاء الخارجي ، اعادت الدثار الداخلي بحرص. وقد كان هذا الدثار نظيفا بحيث كانت ما تزال تبدو عليه تجعدات المكواة . ومن الواضح عندما اسست هذا المنزل انه كان مكانا مقدسا ، وهذه العبارة لم تكن ، بالنسبة اليها ، خالية من المعنى كليا . وشعر جياكومو انه حائر فيما اذا كان ينبغي عليه ان يخلع ملابسه . ولكنه احس بنوع من الحياء امام فكرة اضطجاعه عاريا ووحيدا في ذلك السرير المزدوج الوسيع .

وكانت الشقيقة الكبرى الان تجلس على حافة السرير بحرص، وتقوم بخلع جوربها، وظهرها نحو جياكومو. وكانت الشقيقة الصغرى قد اضمحلت . وكان من الممكن سماعها عبر الباب نصف المغلق وهي تسير في غرفة الحمام .

(١) Calve : ربلة ، وتعرف بالعامية ببطة الرجل .

وسأل جياكومو رينا عما اذا كان من الممكن ان تفتح النافذة . اذ إنّ الجو فى الغرفة كان جد حار .

فأجابته «عندما نطفىء النور . اذ في هذه الاثناء قد ينظر الناس الى داخل الغرفة ويروننا . »

وفجأة عادت لوري من غرفة الحمام ، ومضت لتقف امام مرآة خزانة الثياب . ورآها جياكومو تنظر الى نفسها نظرة طويلة ، وبشيء من الفضول اليقظ . ثم راحت تحل ازرار قميصها ببطء بدءا من ناحية رقبتها ، وهي ما تزال تحدق الى نفسها وكأنها تفكر بشيء ما آخر . وبعد ان انتهت من حل جميع الازرار ، وقفت مترددة للحظة ، ثم ، وبذات الطريقة البطيئة ، خلعت قميصها وغدت عارية حتى وسطها . وكان ثدياها كبيرين نوعا ما ، ينحدران منخفضين كما لو انهما مفرطحان ومتدليان بفعل ثقلهما، على أنّ حلمتيهما كانتا تتجهان الى اعلى . وكان واضحا من خلال الطريقة الثابتة والجامدة التي كان يهتز بها كل صدرها ، لدى كل حركة منها ، بأن هذا التكوين كان ميزة جسدية خاصة قبل ان يكون من جراء تأثير النضوج المبكر ، او الاجهاد .

ومرت بالقرب من جياكومو وهي تسير لتضع قميصها فوق ظهر أحد المقاعد . ثم مضت الى الحاكي الذي كان موضوعا فوق كرسي فى احدى الزوايا وقالت : « لنسمع بعض الموسيقى ! »

وانحنت لتديره ، وفيما كانت تقوم بذلك ، حدقت الى جياكومو بتعبير مفرح عبر شعرها الذي انسدل فوق عينيها . وكان ثدياها وهي تقوم بهذه الحركات يهتزان قليلا فقط، وهذا ما ادهش جياكومو ، لان المجهود المطلوب لادارة قبضة الحاكي كان جسيما ، وقد هز جسدها بكامله .

وانسابت نغمات الالحان الراقصة الاولى وتقدمت هي منه ويداها ممدودتان أمامها . وقالت له : « هيا بنا نرقص » .

وشرعا يرقصان بهدوء . وازداد ارتفاع صوت الموسيقى، فهتفت رينا التي كانت قد جلست الى خوان الزينة ، بدون أن

تستدير : « اوقفي ذلك الحاكي ! »

وبدلا من ان تمتثل لطلب شقيقتها ، خرج جياكومو ولوري وهما ما يزالان يرقصان ، الى الممر . وشعر جياكومو انه قد فقد كل خجل . وكانت المغامرة الان تسير فى طريقها تماما ، وكل ما كان عليه ان يقوم به هو ان يتبعها حتى النهاية . وستكون رينا قد خلعت ثيابها بسرعة ايضا ، وستنهي لوري خلعها للملابس، وهو نفسه سيتعرى من ثيابه ، وسيضطجعون معا هم الثلاثة ، فى السرير المزدوج الكبير .

وهذا التفكير بعث فيه رضى زائدا ، وابعد عنه قلة الصبر التي كان يشعر بها نحو العملية الجنسية ذاتها . ومهما يكن من أمر ، فقد احب ان يضم لوري بين يديه عندما اصبحا وحيدين ، اذ انه كان يشعر بالخجل من القيام بذلك امام شقيقتها . وفي اللحظة التي كان يحاول فيها بهدوء ان يغير مشية الرقص الى وضع احتضان ، اذا بالموسيقى تتوقف فجأة .

« ذلك من فعل رينا الحمقاء . » قالت الفتاة وتفلتت من ذراعي جياكومو بعنف ، واندفعت الى داخل غرفة النوم ، وتبعها جياكومو وهو هائج بشدة .

وصرخت بشقيقتها التي كانت تقف بقرب الحاكي تغلق غطاءه : « لِمَ أوقفتِ الحاكي ؟ »

فأجابت رينا « لقد سبق واخبرتك بأني لا اريد أية جلبة . واعتقد بانك قمت بالجلبة الكافية حتى الآن في الترام . لقد فضحتني أمام بيشيو المحامي . بحيث لن تعود لي الجرأة ابدا على النظر الى وجهه مرة اخرى . »

وكانت الشقيقتان تجابهان بعضهما الان ، والحاكي بينهما ، احداهما نصف عارية ، والاخرى فى ثيابها الداخلية .

وصرخت الشقيقة الصغرى « وماذا يهمني أنا ببيشيو المحامي ؟ فضلا عن انّ الذي سيكون قد عرفه هو الحقيقة ، ليس غير .. بانك تمضين للبحث عن الرجال .. ما القضية اذن؟»

« ذلك يهمني كثيرا .. وعلى كل حال ، هذا ليس صحيحا ،

فأنت هي التي تمضي في ميلانو للبحث عن الرجال.»

«آه حقا! ولكن ماذا تفعلين انتِ، فاني اود ان اعرف؟»

« ليس مهما ما افعله انا ... ولكن تذكري بانه ينبغي عليك ما دمتِ هنا ان تحسني من سلوكك . لقد جعلتني اخجل هذا المساء ... فهناك بعض الاشياء يمكنك ان تقومي بها في منزلك ولكن ليس هنا . »

«المنزل مكان مقدس ، أه؟» قالت الشقيقة الصغرى وراحت تضحك ، ولكن بجهد ، وفى الحال غدا وجهها احمر من الغضب ، واردفت « لا يهمني منزلك القذر بلعنة ... وبالاحرى اود ان ارحل فى الحال ... افهمت ؟ »

وقالت الشقيقة الكبرى بصوت كان الآن اقل حزما ومتخوفا تقريبا :

«حسنا أمضي اذن، فالامر لا يهمني. سأكون مسرورة.»

وكانت الصغرى في حالة غضب ، فقالت : « اجل اني ذاهبة، اني ذاهبة.» ورفعت قميصها عن الكرسي ، وارتدتها وبدأت تزررها بسرعة .

« حسنا امضي اذن .» كررت الشقيقة الكبرى ، ولكن كان واضحا انها كانت حزينة لقرار شقيقتها .

« أجل ، اني ماضية .. ولن تريني بعد الآن ابدا . »

ومضت الى خلف خزانة الثياب ووجهها احمر ، وتناولت من احدى الخلوات حقيبة للثياب ، ذات زوايا واطراف جلدية . ثم فتحت احد الادراج وشرعت تخرج منه اشياء وتكومها بشكل فوضوي داخل الحقيبة .

وتدخل جياكومو وهو يقول مقتربا منها « والآن ، كفى ! كفى ! » لكن الفتاة دفعت به بعيدا هاتفة « دعني وشأني انت ! »

« فى وسعك ان تمضي ، فالامر لا يهمني . » كررت شقيقتها مرة اخرى. وكانت ما تزال تقف بالقرب من الحاكي ، تعلو وجهها نظرة مشوشة .

« اني خارجة ــ لا تقلقي ــ خارجة من منزلك القذر . »

فقالت شقيقتها بحزن « امضي اذن . امضي باسرع ما يمكن . »

لم تجب لوري هذه المرة . واقفلت الحقيبة وهي تضعها على فخذها وترفع ركبتها قليلا . ومرت بغضب بين جياكومو وشقيقتها، وسارت الى المشجب واخذت عنه قبعة مجعدة ثم تركت الغرفة .

« لوري » هتفت شقيقتها فجأة كما لو انها تفسح مجالا لشعور كان جد شديد عليها .

لم يكن ثمة من جواب . وبعد لحظة ارتج المسكن بكامله فيما كان الباب الامامي يصفق بعنف ، ومضت رينا ثم جلست على حافة السرير ووضعت رأسها بين يديها .

كل شيء حدث بسرعة فائقة بحيث لم يكن لدى جياكومو الوقت كيما يتغلب على اعتقاده الحدسي الاول بان مغامرته كانت تسير على ما يرام ، وبأن ليس ثمة من شيء يقوم به سوى أن يتعقب سير الحوادث السهل والمفرح حتى النهاية . وكان ما يزال يسيطر عليه شعور اليقين هذا المبهج والعفوي حتى مع ان المغامرة قد اضمحلت الان .

ثم داهمه شعور حاد ومحزن بالضيق والخيبة والضياع . وحدق الى المرأة وهي تجلس بثوبها الداخلي الاسود الشفاف ، على حافة السرير الذي قد اعد عبثا ، وكان رأسها بين يديها ، ولاحظ انها كانت تنتحب .

وقالت بصوت متهدج ، يرتجف بالدموع « عندما افكر بكل ما فعلت من اجلها ... وبكل التضحيات التي قمت بها .. عندما كانت هي فتاة صغيرة ، وبالكاد كنت انا في السادسة عشرة من عمري . انا التي ابقيتها على قيد الحياة بعملي . وماذا كان حدث لها بدوني ؟ لقد قدمتُ لها الثيابَ والعطلات وكلَّ شيء . عندما كبرتْ قليلا وجدتُ لها عملا كنموذج لدى احد الخياطين .. وظللت لفترة طويلة احرم نفسي حتى الاكل كيما ارسل اليها المال . والان لقد رأيت كيف تعاملني .. »

ونظرت اليه من بين اجفان منتفخة ومليئة بالدمع ، لم يعد فيها أي شيء شرير ، ثم هزت رأسها .

وقال جياكومو بجهد فيما كان يجلس الى جانبها ويمسك يدها : « والآن ، والآن ، كفى ! فانها ستعود . »

« كلا لن تعود .. فأنا اعرفها . لن تعود بهذه السرعة . وفي الحقيقة لن تعود ابدا . » قالت متلعثمة ، ثم اخذت منديلا من تحت الوسادة ومخطت بصوت عال .

وكان جياكومو الآن يحس انه حائر فيما اذا كان ينبغي عليه ان يقترح عليها ان يستمرا هما بمفردهما وكأنّ شيئا لم يكن . ولكنه قرر بأن من الممكن أن تقبل رينا بذلك ، وهي مقهورة وباكية ، الا أنّها ستكون كئيبة كليا ، كرفيقة فى العملية الجنسية .

وقال وهو يهب واقفا « اعتقد بأن العمل الوحيد الذي عليّ ان افعله ، هو ان امضي في سبيلي . »

وقالت وهي تقف ايضا « وانا لن اقترح بقاءك . اذ اشعر باني جد تعيسة . لقد رأيت كيف عاملتني ... يا لها من قاسية .. يا لها من قاسية ... ويا لنكران الجميل .. »

اذ تفوهت بهذه العبارات ، خرجت الى القاعة ، وعندما بلغا الباب ضمها جياكومو بين ذراعيه وأخذ من شفتيها قبلة ، واعادت هي اليه قبلته بشيء من الشعور بالامتنان . ثم قالت :

« اني آسفة . » وقال جياكومو « لا بأس ! »

وعندما اصبح فى الخارج طفق يحدق حوله على امل ان يجد لوري الثائرة . ولكن لم يكن يبدو له شيء سوى بحيرات « الاسفلت » السوداء الوسيعة ، وصفيّ اعمدة المصابيح البعيدة المتألقة ، والبنايات الشاهقة الخالية من الانوار .

«وهذا يوم آخر انتهى ! » قال مخاطبا نفسه باحتقار ، وسار متجها نحو اعمدة المصابيح الكهربائية .

الضَّابطُ الإنكليزيّ

توقفت أمام احد المحال لترى ما اذا كانت السيارة تتبعها ، او انها قد خففت من سيرها لسبب آخر ، ليس الا . لقد كانت سيارة عسكرية صغيرة ، مغطاة بالوحول ، يجلس فيها ضابط وحيد خلف المقود .

وعندما اصبحت السيارة امام واجهة المحل ، راحت تبطىء فى سيرها الى ان توقفت كليا تقريبا ، وتساءلت هي فى نفسها عما اذا كانت ستوافق على الصعود اليها اذا ما دعيت ، ولكن قررت بانها لن تقدم على ذلك ، وطبعا ليس فى هذا الشارع الذي تقوم فيه المحال الصغيرة التي تبيع القبعات والثياب ، حيث انها معروفة تماما .

وادارت ظهرها للسيارة وشرعت تحدق الى وشاح حريري معروض في الواجهة ، كانت قد استعلمت عن ثمنه منذ بضعة ايام ، لانها كانت تتوق اليه . وسمعت السيارة تزحف بحذاء حافة الرصيف ، ثم سمعتها تسير مبتعدة ، فهزت كتفيها هزة بسيطة كما لو انها تقول « الوداع » وهي منهمكة كليا بالتحديق الى الشيء المولعة به .

ولكن بعد ان استمدت شيئا من اللذة النشوى والمفككة ، من خلال تحديقها الى الوشاح الحريري ، اتجهت افكارها المشوقة كثيرا والمستحيل تحقيقها بالرغم من العجز المادي ، اتجهت الى السيارة التي كانت قد تركتها تمضي باباء كبير . مع

العلم انها كانت قد شجعت الضابط بابتسامتين او بثلاث ابتسامات واضحة ومليئة بالمعاني ، والوشاح يمثل فى تفكيرها . فضلا عن انها قد تركت المنزل فى ذلك اليوم بعزم صريح تقريبا لان تجد شخصا ما يمكنها من شراء هذا الوشاح .

وأثارتها هذه التناقضات القائمة بين غاياتها وبين خلقها . لم لم تكن قادرة على الثبوت ، لمرة واحدة ، على رأيها فعلا ؟ ولِمَ لا تحزم أمرها على التخلص نهائيا من تبكيت ضميرها ، ومن التصرفات الموافقة لعزة نفسها ، علماً بانها قد تبنت المهنة من الان فصاعدا ؟.

وتوقفت تحدق الى الوشاح بأسف ، والقت للحظة نظرة الى نفسها فى مرآة الواجهة الجانبية التي تعرض فيها المنسوجات المطرزة . وكانت الريح قد شعثت لها شعرها ، وقد سقطت خصلات شقراء طويلة فوق جبهتها ، وعينيها الضاحكتين الواسعتين .

وكان البرد القارس في ذلك اليوم الجميل من ايام الشتاء قد جمّد وجهها ، وقد بدا هذا الوجه ابيض وبدون د م من تحت الوان تبرجها . اما فمها فقد كان اكثر حمرة واكتنازا بالمقارنة . وكان رأسها عاريا ، وكانت ترتدي معطفا بني اللون ، ذا ياقة مرفوعة الى اعلى ، وحزام مشدود حول وسطها . وفكرت بانها لم تكن تبدو ، على كل حال ، كأولئك الفتيات اللواتي تشاهدهن في الشوارع وهن يسرن وقد شبكن ايديهن بأيدي الجنود . وشعرت برغبة مفاجئة ، وبدت لها بانها رغبة قصوى لا تقهر ، في الا تسمح لنفسها بان تقع تحت تأثير الاغراء في مقابلات عرضية .

وهذا العزم اعاد اليها راحة التفكير الزهيدة والدقيقة والطبيعية . وتباطأت امام المرآة ، وهي في هذه الحالة الهادئة ، وراحت تحدق الى نفسها وترتب من شعرها .

وكان الشارع يقع عند منعطف ، ويمتد الى منتزه يشرف

على المدينة . وفى وسط هذا المنتزه كانت تقوم احدى المسلات (١) وسارت مبتعدة عن المرآة ، وفيما كانت تنظر عبر الشارع رأت بأن السيارة كانت تقف تحت المسلة ، بحيث كان فى وسع الضابط أن يراقب تحركاتها ، واذا لم تسر باتجاه المنتزه كان يمكنه ان يحوّل السيارة ويستأنف ملاحقتها .

« انه ينتظرني ، وسيبتاع لي الوشاح » فكرت بفرح وبخفة، كما لو ان الندم لتركها الفرحة تهرب منها ، كان يعذب عقلها طوال الوقت الذي كانت تحدق فيه الى المرآة ، وبدون أي تفكير مضت الى باب المحل وفتحته ، ثم استدعت سيدة المحل التي كانت تعرفها وطلبت اليها ان تحتفظ لها بالوشاح حتى صباح اليوم التالي . ثم اندفعت بنشاط باتجاه المسلة .

لكنها فيما كانت تسير ، تذكرت فجأة القرار الذي كانت قد اتخذته منذ بضع دقائق في الا تقع تحت تأثير الاغراء ، فعضت على شفتيها وهزت رأسها بشيء من الغضب . هذا كل ما كانت تساويه قراراتها . وشعرت بالغضب القوي من نفسها ، ومع ذلك فلم تفكر بالعودة . وكتبرير ، راحت تؤكد لنفسها بان مثل هذا الاجراء لما كان مستحسنا بشيء ، اذ لكان سيقوم باختطافها على كل حال . لكنها قررت بان تجتاز من امامه بدون ان تنظر اليه ، اذ يجب عليه هو ان يبادرها التحية ، ثم تجيبه هي بطريقة لا تترك اية شكوك بالنسبة لاحترامها .

وعندما بلغت المنتزه ، سارت من امام السيارة بعينين منخفضتين ، واتجهت رأسا الى السور ، من حيث يستطيع المرء ان يمتع نفسه بمنظر المدينة بكاملها . وكانت عارفة تماما بان التريث هنا والتأمل في منظر عام معروف تماما كهذا، يكفيان لدعوة الضابط لان يخرج من سيارته وينضم اليها . وفكرت من جميع النواحي ، بأن ليس في ذلك من ضرر . فهناك هوة عميقة ، وهناك مميزات دقيقة مطلقة بين أن يتقبل المرء التحية ، وحتى الاجابة عليها ،

(١) Obelisk : عمود طويل مربع الشكل، محدد الرأس، يعرف بالمسلة وهو من آثار الفراعنة .

وبين العمل الآخر ... واراحت مرفقيها فوق الحاجز ، ولمست شعرها باصابعها فيما راحت تحدق الى اسفل .

وكما كانت قد توقعت ، اتى الضابط وانحنى فوق الحاجز بقربها . ومضت هي تراقبه بطرف عينها . يجب ان يكون صغيرا جدا فى السن ، اصغر منها . كان له وجه مستدير واحمر ، ذو ملامح قاسية تقريبا ، وعينين صغيرتين وعميقتين ، لونهما ازرق ناعم .

ووضع يده فوق الدرابزون ، وحدق اخيرا الى اعلى سطوح المنازل فى الاسفل ، بشيء من الدهشة ، كما لو انه لم يتوقع ان يراها . وراحت تنظر اليه باصرار ، وبدون حياء ، ظنا منها انه قد يستدير وبأن لقاء عيونهما قد يخلق تعارفا كلاميا بينهما .

ولكن بدا على الضابط انه لا يستطيع ان يقرر ليدير رأسه . وفيما كانت الدقائق تعبر كان غضبها من نفسها يزداد اكثر فأكثر ، لانها كانت توضح انها تود ان يبادرها هو بالكلام . ودائما كانت المراحل الاولى لمثل هذه المقابلات تقع على اعصابها ، وكان صوت الرجل وحجته التي يبدأ بها الحديث معها ، يجعلانها دائما تقفز بغضب . لكنها هذه المرة احست بانها إن لم تقم هي بالخطوة الاولى فلن يحدث شيء اطلاقا . وقالت بغتة وبعصبية ، وهي تفتح عينيها جيدا وتنظر الى الوجه الهادىء ، العديم الاحساس :

«انه ليوم جميل ، اليس كذلك؟»

واستدار الضابط في الحال واجاب باقتناع عميق : « اجل ، انه جميل ! »

كان له صوت ناعم ومرض . وخيم السكون من جديد . وقالت لنفسها وهي تسحب وجها يظهر غضبها . « لن اتكلم اليه مرة اخرى ، وسأبقى دقيقة بعد ثم امضي . »

وكان الضابط يحاول بوضوح ، ان يجاهد ضد حيائه . وفى النهاية ، اشار الى السيارة وقال بنغمة من يسلم بالمساومة في مثل هذه الحالات عادة :

« هل سنصعد الى السيارة ؟ »

وعند هذه الدعوة ، شعرت المرأة كما لو ان قدميها قد تتحركان باتجاه السيارة تلقائيا ، وازداد غضبها .

فسألته وهي تحدق اليه وتبتسم بغير سرور « لماذا ؟ »

فأجاب الضابط بصراحة « كيما نكون معا »

« ولكن لِمَ ينبغي ان نكون معا ؟ »

وكانت قد شعرت هي الان بانه يجب عليها ان تتصرف كسيدة اوقفها فى الشارع رجل غريب ، ذو مقاصد مريبة ، وقد عقدت النية على ان تريه خطأه . اما الشاب فقد بدا مرتبكا .

فأجاب « كيما نتحدث » ثم اضاف بلباقة « وفي وسعنا ان نمضي الى احد المقاهي . »

« ولكني لا اذهب الى المقاهي ابدا »

« ولِمَ لا ؟ »

بدأت تقول وهي تطيل لفظ الكلمات ، وتبتسم باحترام فائق «لاني لست متعودة على الذهاب الى المقاهي ! ليس الا »

فقال الضابط كما لو ان كلماتها قد اوضحت انواع الامور كلها . « آه » ثم اردف مقترحا وهو يشير الى السيارة من جديد «هيا بنا نمضي بنزهة في السيارة اذن. »

« لكني لست متعودة على الذهاب في نزهات بالسيارة ، مع اناس لا اعرفهم ! »

ورأت انه كان يحمر خجلا حتى جذور شعر رأسه ، وقال : « ان اسمي هو بروس . دجيلبرت بروس ... وما اسمكِ انتِ ... ؟ »

« ليس لي اسم يقال لك » أجابته متأنقة في ردها الجارح . وكانت ثمة هنيهة من السكون .

واستمر الضابط مثابرا « انتِ تظنين بي بالسوء ، ولكنك لا تعرفين ماذا اريد منك . »

فقالت وقد توهجت «اني اعرف تماما . تود ان تدفع لي ثمن ساعتين من اللهو ، اليس كذلك ؟ »

ولاحظت انه قد احمر خجلا للمرة الثانية ، بدون ان يجيب .
فتابعت بفظاظة « واني اعرف كذلك كم تود ان تدفع لي ... ستدفع الفين او ثلاثة الاف لير ، وحتى ربما اكثر ... الست مصيبة ؟ »

وحاول الضابط ممازحتها «بما انك تعرفين السعر تماما ..»

« طبعا اعرفه ... وعلى فكرة ان الذين من نوعك يكونون عادة اسرع منك ، ويذكرون المبلغ فى الحال ، بدون ان يحوّموا حول الامر كثيرا .»

« ان الذين من نوعي ليسوا جد خجولين مثلي . »

وتابعت تقول « ثم تقدم لي علبة او علبتين من اللفائف .»

فقال الضابط وهو يشرع فى ابتسامة « أه ، لفائف طبعا . »

« وربما تقدم الي بعضا من علب الطعام اذا ما طلبت اليك ؟»

ورأته يهز رأسه بلطف ويمضي فى ابتسامته ، ثم يمد يده ويقول بجهد :

« أرى اني قد ارتكبت هفوة . ارجوك سامحيني »

ولاحظت ان هذا كان بمثابة وداع منه ، وفجأة شعرت بالخيبة لانها قد اوحت له بانها من اولئك النساء اللواتي ليست هي منهن . بحيث جعلته يتركها وحيدة بعد مشقة كبيرة كهذه ، واضمحل عتيها وهياجها .

«كلا» هتفت بسرعة فائقة بحيث بدت لها مضحكة حقا ، واردفت « كلا ، لم ترتكب هفوة ! »

« لم ارتكب هفوة ؟ »

« هذا ما قلته » قالت وقد كانت فاقدة الصبر .

ورأته يحمر احمرارا عظيما من الخجل ، لكن خجله في هذه المرة لم يبد انه مصحوب بالارتباك . وقال : « اذن هل سنمضي؟»

«هيا بنا !»

وسارا الى السيارة ، فساعدها الضابط على الصعود ، ثم قفز ليجلس الى جانبها ، وبدأ يقود السيارة .

وسألها « الى اين ؟ »

اجابته ببساطة « الى حيث اسكن . سأريك الطريق ! »

وسارت السيارة حول المسلة ، ومضت بسرعة باتجاه الحدائق العامة تحت اغصان الاشجار المنخفضة . لقد كان يوما جميلا ، وكانت جميع الممرات المشجرة التي كانت العين تستطيع رؤيتها تعج بالمتنزهين . وفيما كانت تمر بهم لم تكن تستطيع ان تكبح جماح شعور عميق بالخيلاء ، لاجتيازها جميع هؤلاء المشاة وهي راكبة فى سيارة ، حتى في سيارة جيش موحلة . وتعجبت الان كيف عاملت الضابط بطريقة جد فظة في حين انها كانت قد قررت القبول ! وشعرت انها غضبى ، وفي الوقت عينه احست بانها ستكون مسرورة بطريقة مبهمة ، بان تقوم من جديد ، بما ادركت بأنها كان ينبغي الا تقوم به معه .

ومضى الضابط يقود السيارة عبر الحدائق ، ثم عبر طريق واسع حدد طرفاه بالاشجار ، وهو يتتبع فى ذلك ارشاداتها بوداعة . ومع سرعة السيارة ، والريح التي ملأت فمها ، وشعثت لها شعرها ، احس بلجاجة رغبته التي اصبحت الان قضية اشباعها اكيدة ووشيكة . اما هي فقد شعرت بالخجل وبالرضى الضاري. وكانا قد دخلا الى منطقة فقيرة حيث كانت النوافذ المزدحمة للمنازل القذرة ، تطبق على بعضها خلف اغصان اشجار الدلب الطويلة العارية .

« من هذه الطريق ! » قالت وهي تشير الى شارع جانبي .

وادار الضابط السيارة فوق خطوط الترام ببراعة ، ودخل فى تلك الطريق ، اما تلك البيوت عند الطريق المشجرة فقد كانت مجرد واجهة تحجب امتدادا كبيرا من المنازل الصغيرة البائسة .

« من هذه الطريق .. الى اليمين .. الى الشمال . » كانت المرأة ترشده عندما كانت الشوارع الفقيرة تتلاقى ببعضها . وكان الضابط يغير بعزم وجهة السيارة لدى كل أمر جديد . واخيرا قالت له :

« هاقد وصلنا ! » وتوقفت السيارة .

كانا يقفان بمواجهة باب خارجي مغطى ببعض النبات

المتسلق • وقد بدت الحديقة ضيقة ومغلقة على ذاتها ، وبالكاد كانت تبدو اكثر من ممر يقوم حول المنزل الذي كان ذا لون بني كئيب ، عديم الزخرفة ، وله قبة صغيرة متضخمة ، وواجهة لنوافذ اربع • وكان يبدو جد صغير وجد وضيع •

« في وسعك ان تدخل بالسيارة الى الحديقة اذا شئت ذلك !»

وهز الضابط برأسه ، ثم تحرك بالسيارة ففتحت هي له البوابة الخارجية ببعض الجهد • وفكرت في نفسها : اني اريده أن يدخل السيارة الى الحديقة لاني مرتبكة فعلا من فكرة تركها في الخارج •

وكانت توجد الى أحد جانبي المصطبة العالية امام باب المنزل، مساحة مرصوفة بالحصى ، وكانت من الكبر بحيث تسع حجم السيارة • أما الى الجانب الاخر من المصطبة أي الى جهة الطريق فقد كانت ثمة بقعة من العشب الاخضر مغطاة بنبات العوسج ، تقوم بين جدران المنزل والجدار المحيط به • بالاضافة الى حظيرة من السلك كانت المرأة تربي فيها ثلاث دجاجات وديكا واحدا • ولكي تضيع الوقت حتى يكون الضابط قد انتهى من صف سيارته ، مضت هي لتلقي نظرة داخل الحظيرة • وكان الديك الابيض الضارب الى الصفرة يقف وعرفه الاحمر منتصب أمام نبات العوسج ووريقاته المتعفنة • في حين كانت الدجاجات الثلاث سوداء اللون ، ومن الصعب تمييزها وهي تقف امام النباتات الداكنة • وفكرت بأنه ليس في وسعها أن تقف الى جانب البوابة وكأنها خادمة ، اذ تستطيع أن تقوم باطعام الدجاجات الان ، بحيث يأتي ويراها فيأخذ عنها فكرة حسنة وهي تبدو اليفة للغاية • وأخذت بين يديها وعاء كانت تضع فيه طعام الدجاج وشرعت تنتشل منه الحبوب وترميها أمام الدجاجات بتؤدة كيما تفسح المجال للضابط ليتمكن من رؤيتها • وسمعت السيارة تندفع الى الداخل بزئير شديد وتتوقف فجأة • ولم تستدر هي لتراه •

وبدأت الدجاجات الثلاث تنقد الحبوب بشره كبير ، وقد خيّل اليها بأنها كانت تبدو ذات مظهر جذاب وهي ترتدي الملابس

الجميلة وتحمل الوعاء بين يديها وقد تجمعت الدجاجات بالقرب من قدميها • وسمعت صرير البوابة وهي تغلق، لكنها ظلت منهمكة بنثر الحبوب • على أن الديك لم يبد أنه جائع ، فظل واقفا على حدة ، وبين الحين والاخر كان ينقر شوكة رجله بمنقاره • وهنا دخل الضابط الحظيرة وسار مقتربا منها • وقال وهو فرح من نفسه :

« لقد اغلقت البوابة »

« حسنا » أجابت دون أن تنظر اليه ، وكانت قد انتهت من توزيع الطعام ، فانحنت ووضعت الوعاء على الارض • وفيما كانت تستقيم في وقفتها سألته : « هل تحب الدجاج ؟ »

فأجاب الضابط بابتسامة « بالفعل ، كلا ! »

« الدجاج يضع البيض • » قالت بلهجة مريعة ذات معنى عميق كما لو أنها تقول « اني مسكينة ، وفي هذه الايام تكون الدجاجات التى تضع البيض جد ثمينة ! »

الى الان كان الديك ما يزال يقف على حدة ، الا أنه فجأة ، وبطريقة شبه عر[illegible] دجاجة منتفخة الريش ومتكبرة وقفز على ظهرها [illegible] ما جلست هذه الدجاجة القرفصاء بدون ان تأتي بأي محاولة للهرب ، وقبض الديك بمنقاره على عرفها بوحشية وراح يرفرف بجناحيه بهياج للحظة وهو يركب ظهرها • واخيرا هبط عنها وتركها وشأنها ومضى ينقر حبيبات القمح المتبقية فو[illegible] لارض بانهماك كلي • وقامت الدجاجة واقفة • [illegible]صت ريشها بهزة من جسمها ، ثم نظمت نفسها من جديد وعادت تنقر الارض الى جانب الديك بتكبر وخيلاء اكثر من السابق • وقال الضابط بابتسامة وديعة « انهما يقومان بالعملية الجنسية ايضا ! »

واخذت المرأة هذه الملاحظة مأخذا سيئا ، ولم تنبس ببنت شفة • وبعد لحظة قالت بصوت متهدج « هل نمضى ؟ »

وتركا الحظيرة وسارا الى جانب الجدار باتجاه المدخل ، وكانت السيارة الموحلة قليلا تقف امام المصطبة • وسألته وهي

تشير الى السيارة « هل أنت قادم من الجبهة ؟ »

« أجـل » .

وعادت تسأله وهي تبتسم لـه فيما كانا يرتقيان درجـات السلم « هل المعارك قائمة هناك ؟ » لكنها شعرت بأنها لم تكـن راضية عن لهجتها . ولم تكن تدري ما السبب .

وأجاب الضابط متضايقا « اجل ، ان المعارك قائمة هناك ! »

وأخرجت هي المفتاح من داخل حقيبتها وفتحت الباب ثـم اندفعت الى الداخل . واندفع الضابط في اثرها وقد رفع القلنسوة عن رأسه . وسرعان ما كانا يواجهان سلما معتما باردا ذا درابزون حديدي بسيط . وفيما كانت تسير متقدمة قالت للضابط الذي لم يجب بأي كلمة : « اني اعيش في الطابق الاول ، اذ ثمة انـاس آخرون يعيشون في الطابق الثاني . » .

وفتحت بابا في الطابق الارضي وادخلت منه الضابط ، ثـم اغلقت الباب من جديد وأقفلته وتركت المفتاح بالقفل . وأخـذت القلنسوة منه وعلقتها فوق المشجب، في حين انتزع الضابط معطفه النصفي وعلقه تحت القلنسوة ، وكان هذا المشجب المصنوع مـن الخشب الصافي يقوم في ممر صغير ذي جـدران قاتمة مغمة . وسارا الى غرفة الاستقبال وهي غرفة صغيرة مربعة الشكل ذات جدران باهتة مثل جدران الممر عينها . أما المفروشات فقد كانت مؤلفة من كنبة ومقعدين تقوم حول طاولة مكونة من المعـدن والزجاج ، وفي احدى الزوايا كان يوجـد مذياع فوق احـد المقاعد الطويلة . ومضت هي الى النافذة ورفعـت السـتارة الخشبية ، ولكن لم يدخل الغرفة الشيء الكثير من النور . وكانت نوافذ الغرفة مستطيلة الشكل ، لها ستائر زرقاء تبدو من خلالها هياكل اغصان لشجرة كبيرة . وأجال الضابط بصره من حوله ، وبدا مرتبكا للجلوس على كنبة قاسية وكئيبة ، ذات غطاء أزرق بـارد .

وقالت له « اجلس، اجلس . » وجلس الضابط، وفيما كانت تسير بالقرب منه انحنى الى الامام وحاول أن يمسك باحدى يديها،

وقد بدا أنه مشجع بلفظها المتغير .

فقالت وهي تغادر الغرفة « كلا ، كلا ... انتظر دقيقة ! »

وقصدت الى نهاية الممر حيث يوجد مكان للهاتف ، ورفعت السماعة وفي الحال تقريبا سمعت صوت أمها يسألها بطريقتـه المعتادة اللاهثة ، عما اذا كانت قد عادت . وأجابتها ابنتها بقساوة « هذا واضح ، اذ اني اكلمك بالهاتف . لا تدعي الفتاة تهبط الى الطابق الارضي ... ان لدي زائرا ... سأصعد أنا بنفسي . » وشرعت أمها تطرح عليها أسئلة أخرى ، الا أنها قاطعتها باختصار وأعادت السماعة الى مكانها .

وشرعت الان تتساءل عما اذا كان يهمها أمام هذا الضابط ، أن تبقى محتفظة بالخط البدائي للازدراء الذي تستشعره نحـو عمليات بيع جسدها . وفكرت « لن آخذ المال ، في هذه المـرة على الاقل ! » ففي المرة الاولى التي جاءت فيها بأحد هؤلاء الجنود الى منزلها ، كانت تقوم بذلك بعدم مبالاة ، وبدون أي تفكـير بالربح المادي . ولكن في لحظة الافتراق قدم اليها الرجل مبلغـا من المال ، فتقبلته بطريقة تلقائية مفرحة لا تفكير فيها ، حملتها على الوحشة ، وبشيء من التسليم ، لا ريب بأن الرجل كان قد توقعه، ولكنه قد اذهلها كثيرا . وفيما بعد ندمت على ذلك عندما انتبهت، أو اعتقدت أنها انتبهت الى شيء من الاحتقار في هيئة ذلك الرجل الذي ضاجعها للمرة الاولى . وأقسمت لنفسها وهي تضع المال في محفظتها بأن هذه ستكون المرة الاولى والاخيرة التي تتقبل فيهـا المال، ولكن ولاسباب مجهولة ، تغيرت الامور بالطريقة عينها تماما، مع الرجل الثاني ، فتقبلت المال بذات الطريقة التلقائية وبـذات التسليم والبهجة والخضوع . وحصل الشيء ذاته مع الرجـل الثالث . وفي النهاية استسلمت كليا ، ولكن على مضض ، لهذه الحرفـة المربحة .

أما الان فان هذه المشكلة تواجهها من جديد . هل تقبل منه المال أم لا ؟ في الحقيقة لم تشعر بميل نحو هذا الضابط باكثـر ما كانت تشعر نحو الاخرين . ولكن هذا الشاب يود أن يقـوم

بعملية جنسية منزهة . لقد كان ما يزال فتى تقريبا ، ومن المؤكد أنه يصغرها بخمس أو ست سنوات . وخيل اليها بأن فتوته كانت واضحة في كل من حيائه وتربيته المهذبة ، وأخلاقه المحترمة . واستمرت تفكر : لا شك أنه تلميذ ، ومن الجلي أنه ابن عائلة محترمة ، وكانت ترتاب فيما اذا كان قد سبق له وضاجع أية امرأة في حياته . ومضت ألى المطبخ الصغير والنظيف وهي تقلب مثل هذه الافكار في رأسها . وفتحت خزانة وتناولت منها زجاجة خمر وقدحين وضعتها فوق طبق وعادت لتخرج منه .

كان الوقت في بعد ظهر ذلك اليوم يقترب من العصر، وكانت الغرفة تغرق في ظلال معتمة ، بحيث بدت أنها تجعل من وجود الضابط وجودا وهميا ، وبعيد الاحتمال ، وهو يجلس فوق تلك الكنبة المنخفضة ، وقدماه ممدودتان الى الامام ويداه في جيبي بنطاله بين المقعدين الخاليين امام تلك الطاولة الخالية . واقتربت ووضعت الطبق على الطاولة ، ثم فتحت زجاجة الخمر وملأت القدحين وهي تنحني فوقهما وقد تهدلت خصيلات شعرها فوق أنفها ، بحيث جعلتها تبدو ، جزئيا ، متعبة وأكثر جاذبية .

وقالت بابتسامة فيما كانت تجلس الى جانبه « انه مشروب انكليزي ، هل تحبه ؟ »

فأجاب باقتناع « أجل ! انه رائع ! » ثم انتشل علبة لفائف من جيبه وقدمها اليها . فقالت بحيوية مبالغ فيها :

« لفائف ! شكرا ... ولكن لدي بعضا ... »

وشرعت تبحث عن حقيبتها ، وأصر الضابط بحركة بدا من خلالها وكأنه يقول « ولكن خذي واحدة من لفائفي ! » وفي الحال كفت عن البحث على حقيبتها ، وبذات الدعة المذلولة التي تجعلها تتقبل المال ، مدت يدها وأخذت لفافة . ولفترة قصيرة راحا يدخنان بصمت . وكانت المرأة قد نزعت عنها معطفها وبدأت الان ترتعش من البرد في الغرفة المصقعة ، وهي ترتدي « كنزة » صوفية مشدودة على صدرها جيدا ، و « تنورة » خفيفة ضيقة .

وقالت بابتسامة فيما كانت تنفخ في الهواء لتريه الضباب

الابيض الذي تسببه انفاسها « ان الجو بارد ! »

فأجابها بذات اللهجة « أجل ، جد بارد ! »

« أنتم ، معشر الانكليز ، معتادون على الصقيع اكثر منا نحن معشر الايطاليين . لان الجو في بلدكم بارد دائما ! »

فقال الضابط دون أن يحدق اليها « وحتى انه في لندن ، جد بارد هذه السنة ! »

« لماذا ؟ » ورأته يهز كتفيه وهو يقول « ان القطارات تستعمل من أجل أهداف الجيش، ولا أحد يملك شيئا من الفحم . »

« أنتم تأخذون الحرب على مأخذ جدي للغاية ... في انكلترا كل شخص يقوم بعمل يتعلق بالحرب، حتى النساء ، اليس كذلك ؟ »

فقال الضابط باقتناع عميق « طبعا ، كل شخص يخدم في الحرب .. والنساء أيضا .. أنت محقة تماما ! »

وتبع ذلك سكون طويل ، راح الضابط خلاله يحدق اليها بتركيز بعينيه الغائرتين الزرقاوين ، وكانت هي تشعر تحت تأثير تحديقه بها بأنها تصبح عصبية وشاردة العقل ، وفكرت « الان سيحاول ان يقبلني » وشعرت بشيء اشبه بالخوف ، وكما لو أنها كانت تعاني حالة تمرد وثورة صر فمها بتجهيمة قرف . وكان اقتراب موعد القبلة الاولى دائما يثير فيها مشاعر الثورة والحنق . لقد كانت متزوجة ولها ابنة ، وقد كان لها عشاق ، ولكن مع ذلك عندما تقترب من شفتيها شفتان غريبتان كانتا تجعلان قشعريرة من الاشمئزاز البتولي والجنوني تسري في انحاء جسدها . ومهما يكن من أمر ، فقد اكتفى الضابط بأن أخذ يدها ليس الا ، واذ رأى خاتم الزواج في اصبعها ، سألها « هل أنت متزوجة ؟ »

« أجل ! »

« وأين هو زوجك ؟ »

وتلعثمت ، هل يجب أن تقول الحقيقة ؟ أنها قد انفصلت عن زوجها بكل بساطة ؟ كانت قد قررت أن تخبر أحد الضباط بأن زوجها اسير حرب، وقد بدت لها هذه الكذبة للحظة مبررة ــ لانها

جعلت تصرفها هذا يبدو أسوأ ، من ناحية واحدة ، أما من الناحية الاخرى فقد جعلتها تبدو اكثر اثارة للعاطفة ــ اذ ينبغي أن تدبر امورها في فقرها ووحدتها . وهكذا قالت له وهي تحدق الى عينيه بسلاطة « انه سجين ! »

ونظر اليها الضابط كما كان يفعل ، بدون أن ينبس بأي كلمة . ولكن خيل اليها بأنها قد استطاعت ان تكتشف في عينيه شرارة من الرأفة ، فتعلقت بهذه الشرارة . ومضت تقول وهي تزن اجزاء الكلمات :

« لقد تركت وحيدة ، كان زوجي يكسب بعض المال ، أما الان فليس لدي شيء ... »

وخيل اليها بأنها كانت تنطق بالحقيقة ، مع انها كانت تدرك تماما بأن ما قالته لم يكن من الصحة بشيء ، وبأن زوجها لم يكن سجينا ، وهو يبعث اليها بالمال الكافي للحاجات الاولية ، وبأن المال الذي كانت هي تجنيه ، والذي ما تزال تحاول ان تجنيه كانت تنفقه على شراء الكماليات . ومع هذا فقد كان يخيل اليها بأنها تخبر الحقيقة ، وتشعر بأنها قلقة ، تماما كما تشعر أية واحدة عندما تخبر بعض الحقائق التي تؤلم .

وسألته بدورها « وهل أنت متزوج ؟ »

« خاطب ! » وراحت تراقبه وهو يدس يده في جيب بنطاله الخلفي ويخرج محفظته ويسلمها منها رسما شمسيا ، كان رسما لفتاة متوسطة الجمال ، وهي تنحني فوق دراجة وخلفها بعض الاشجار . وفيما كانت تحدق الى الرسم لم تنس أن تضفي على وجهها طابعا تقليديا ابله ، يمزج الاحترام بالندم ، ثم اعادت الرسم اليه وهي تقول : « انها جميلة ! »

« أجل ، انها جد جميلة ! » أجاب الضابط بأدب وهو يعيده الى محفظته . وأحست فجأة بشيء من الخوف اذ لعل رؤية هذا الرسم قد اخمدت من شهوته ، وشعرت الان بأنها تود أن تجذب القبلة التي كانت قبل قليل تخافها كثيرا . وقالت وهي تبتسم :

« بالكاد عرف احدنا الاخر منذ ساعة ! ومع ذلك نبدو وكأننا قد عرفنا بعضنا منذ اجيال ، أليس كذلك ؟ » واذ نطقت بهذه الكلمات القت بيدها فوق يده وراحت باصابعها تداعب له اصابعه .

كان الوقت آنذاك عند الغسق، وقد امتدت الظلال من زوايا الغرفة حتى بلغت الكنبة والشخصين الجالسين عليها . وشد الضابط على يد المرأة ، وبيده الاخرى جذب رأسها اليه ــ ليس الى شفتيه ، وانما الى كتفه ــ ومكثا هكذا في الظلال المعتمة فترة من الوقت ، ورأسها مسند الى كتفه . ولم تكن هي لتعرف بالتمام ما تفعله وانما كانت تفتح عينيها جيدا في تلك الظلمة . لم تكن هذه بالمرة الاولى التي تواجه فيها مثل هذا النوع من التظاهر بالحنو ورقة الاحاسيس ، حيث كانت تتوقع دائما التصرفات غير المكبوتة ، وفي كل مناسبة كانت تشعر بالارتباك والانفعال الشديدين . وفي النهاية الطويلة ، وبعد تأخير بدا اليها أنه بدون نهاية ، قام الضابط بمحاولة لتقبيلها . فهتفت هي بتبصر «انتظر !» وراحت بمنديلها تمسح أحمر الشفاه عن شفتيها . ثم غابا في قبلات شبقة .

وبعد هذه القبلات ، عاد الضابط ليلقي برأسها على كتفه من جديد ، وشرع يداعب جسدها بيده ، ثم يداعب خصيلات شعرها المتهدلة على جبينها بأصابعه ويحاول أن يجعدها لها ، ثم يملسها ليعود ويجعدها من جديد . كان ثمة نوع من الجنون العاطفي الصامت في مداعبته لجسدها ، ولجبهتها ، كما لو أنه كان يود أن يذيب لها جسدها وجبهتها ، كالموجة التي تذيب الحصاة البيضاء على الشاطىء . وادركت هي بأنها قد وقعت مع رجل هو في حاجة الى العاطفة اكثر منه الى الحب الجنسي ، وفي حاجة الى الحنان اكثر منه الى الشهوة والشبق ، وفيما كانت تدعه يتابع دغدغتها كانت تزداد برودا وضجرا . وبين الحين والاخر كان الضابط يكف عن دغدغتها ليأخذ لها شفتيها في قبلة حارة قصيرة ، ثم يعود مرة اخرى ليشد بيده ذات الاصابع المفتوحة على جبهتها ،

وفوق عينيها بقليل ، ثم يزحف صعدا حتى يصل الى شعرها . أما يده فقد كانت خفيفة وثقيلة في آن معا ــ خفيفة لانها كانت تعمل بوحي من الغيرة والحماس ، وثقيلة لانه كان يدغدغها بشدة كما لو أنه كان يود أن يخترق البشرة . كأن هذه الدغدغة كانت نوعا ما من المرهم . ومن غير انتظار ، تناهى الى مسمعها طرق على الباب ، في ذلك الصمت العميق .

« آسفة ! » قالت وهي تهب واقفة ، ومضت عبر الظلال وادارت المفتاح بالقفل ، ثم فتحت الباب ولكن قليلا فقط . وفي البدء لم تر أحدا ، ثم رأت ، وهي تحدق الى اسفل ، وجه ابنتها المستدير ، بشعرها الطويل المربوط فوق رأسها بشريط مزركش. وقالت بدون أن تفتح الباب :

« لقد أخبرت جدتك بالا تبعث بك الى هنا ... ان عندي زوارا » .

« جدتي تود أن تعرف ما اذا كنت ستتناولين طعام العشاء في المنزل ! »

« أجل ، سأتناول العشاء في المنزل . أما الان فاصعدي ولا تعودي الى هنا ... وأنا سأصعد بنفسي ! »

« حسنا » .

واستدارت الفتاة بطاعة ، واستطاعت هي عبر الباب أن تسمعها فيما كانت ترتقي الدرجات واحدة فواحدة ، بخطوات صغيرة ، لانها كانت واقفة الانحدار كثيرا بالنسبة لقدميها الصغيرتين . وأخيرا تلاشى الصدى وعادت هي لتغلق الباب بتؤدة. واذ دخلت الغرفة من جديد تمكنت من أن تشعر بوجوده. وقالت بدون أن تستدير وخصيلات شعرها ما تزال منسدلة فوق عينيها :

« هل ندخل الى غرفتي ؟ »

وعبر الممر دلفا الى غرفة النوم، وهنا أيضا كان الغسق البارد منتشرا ، كالغبار غير المحسوس فوق السرير الخفيض ، وكانت القطعتان أو الثلاث من الاثاث التي ليس لها أي شكل ، تبعث

على الاحساس بأن هذه الغرفة مهجورة وغير مسكونة . وأدخلته اليها ثم اقفلت الباب . وعندما استدارت القت نفسها بين ذراعيه. وفي هذه المرة كان احتضانه لها جد عنيف ، وسمجا نوعا ، بحيث انهما اصبحا جالسين على السرير. وحاولت ان تمد ذراعها وتضيء النور ، فوق الطاولة الى جانب السرير . وعلى الفور تقريبا انفصلا عن بعضهما ، ومن غير أن تعرف ماذا تقول سألته وكأنها طفلة « ما رأيك بي ؟ »

واستطاعت أن تلاحظ بأنه كان يتفحصها باتباه . وللحظة ظلت خائفة من أن يسمعها أي جواب سهل وجارح يسيء اليها ، فأسفت على سؤالها له . وأخيرا قال بصدق عميق وبتواضع ظاهر:

« اعتقد بأنك جد جميلة ! »

وحدقت الى اسفل وعلى وجهها تعبير فرح . ثم قالت « شكرا ! انك لطيف للغاية ! » ثم سوت من نفسها وهبت واقفة وهي تقول « اني ماضية لاقفل النافذة . »

وقصدت الى النافذة واسدلت الستارة الخشبية ، وقد كانت تفكر « والان سيكون علي أن اطلب اليه خلع ملابسه ! » وشعرت بحنق جديد لعدم خبرته بالقضايا الجنسية ، بحيث يرغمها ذلك على رمي كل كياستها وظرفها مع الرياح . وما ان كادت هذه الفكرة تدخل رأسها ، حتى رأته ينزع عنه « جاكيتته » بهدوء ويعلقها فوق احد المقاعد . ثم يشرع بحل بنطاله . وبدا هذا الاجراء منه مختلفا تماما بالمقارنة مع حيائه عندما ضمها اليه للمرة الاولى .

وجلست هي على حافة السرير وطفقت تخلع حذاءها ، وقد اصطكت اسنانها بغضب غير معين . وسمعت الشاب يتمدد على السرير خلفها ، وفجأة لم تعد تطيق فكرة مراقبته لها ، وقد تطرقت الى رأسها .

وصرخت وهي تستدير نحوه بعنف « ارجوك استدر ... لا يمكنني أن اتحمل نفسي وثمة من يراقبني وأنا أخلع ملابسي !»

ولاحظت بأنه قد بدا حائرا امام انفجارها ، مع أنه ادار رأسه باذعان فوق الوسادة وهو ما يزال يضطجع على ظهره ونصف

صدره عار خارج الدثار . وهبت واقفة وراحت وهي ترتعش من البرد تنضو عنها جميع ملابسها بسرعة فائقة . ولكن اما بدافع نفاد الصبر ، أو بدافع حب الفضول ادار الشاب رأسه نحوها في اللحظة التي كانت فيها في وضع مربك وحرج تماما ، عندما كانت تضع احدى ركبتيها فوق حافة السرير بينما قدمها الثانية كانت ما تزال على الارض ، وهي تنحني الى الامام وقد تدلى شعرها وثدياها الشهيان ، وتصعد لتندس به . وازداد حنقها في تلك اللحظة ، الا انها انحنت فوقه وقد أغلق عينيه أمام ظل ابطها الدافىء ، وأطفأت هي النور فوق الطاولة قرب السرير .

وبعد ذلك وجدا نفسيهما يضطجعان ، كل في حضن الاخر تحت الدثار القاسي المطرز الذي راح يدغدغ اطرافهما العارية . وفي الظلمة شعرت بيده تستأنف دغدغتها اللجوجة والطويلة فوق عينيها وعلى جبهتها ، بذات العاطفة السابقة ، ولكن بذبذبات جديدة صادرة عن الشعور بالحرارة والامتلاك . وكل جزء من جسدها لم يكن ملتصقا بجسده كان يكتنفه البرد ، ومع ذلك فانها كانت تشعر تحت سيل دغدغته لها ، بأن فمها قد اتخذ طريقة سيئة مريبة ومغيظة . كانت تود ان تتوقف عن التفكير ، الا أن فكرها كان يتعقب مجرى تأملاته بحرية مطلقة ، بعيدة عن مشيئتها — ولم تكن تعتبر تأملات بالمعنى الصحيح ، وانما كانت أوهاما سخيفة ومشوشة ، ممزوجة بأفكار وعلاقات خارجة عن الموضوع — وتخيلت للحظة الشاب يقع في حبها ويصحبها معه الى وطنه، ونجم عن هذا الوهم اوهام اخرى تتعلق بالحياة التي سيعيشانها ، وبالناس الذين سيقابلانهم ، وبالمنزل الذي سيقطنانه ، وبابنتها ووالدتها . ومن ثم كانت تنتقل الى أوهام أخرى لها علاقة بسيطة بالاوهام التي بدأت بها ، وهذه الاوهام تعود وتتجزأ بدورها ، وكأن ذلك يحصل بتأثير التولد الذاتي ، وتتشعب في اتجاهات غريبة لا يمكن التكهن بها . اذ عند نقطة من النقاط ، تجد نفسها منتبهة اليها وهي تتساءل ، ترى من هو الشخص الذي حياها في بعد ظهر ذلك اليوم في الشارع ، قبل أن تقابل الضابط بوقت

قصير ! وهذه الافكار التي لم تكن تستدعى كانت تسبب لها انفعالا كئيبا ، وبخاصة عندما يضايقها في الوقت عينه ، ذلك السؤال الاصراري والمزعج مثل البرد القارس الجاسم على اسفل ظهرها تماما « هل ينبغي أو لا ينبغي أن اتركه يدفع الي ؟ »

وهكذا كانا يضطجعان في الظلمة والصمت ، اللذين يعودان الان الى الليل الذي ارخى سدوله . وكان يشعر بجسدها اللدن ذي البشرة الرخامية ينغرس فى جسده ، وبلهاثها الدافىء يختلط بلهاثه . ويخيل اليه بأن النعيم يرقد بين ثدييها حيث يخفي وجهه ويغيب شفتيه النهمتين . ولفترة ظن أن الدنيا كلها ترقد بين يديه . وكانت هي تحس به قويا وصلبا وكالعملاق فوقها . وكانت تتوه وتمضي في شبه غيبوبة ، وأخيرا شعرت بالوسن يداهمها وبعد فترة من الزمن غير محددة الاطراف ، عادت الى رشدها من جديد ، ولاحظت بأن الضابط كان قد نهض وارتدى ملابسه تقريبا ، وهو الان يزرر قميصه . وأضيء النور وكشف عن غرفة تعمها الفوضى التي تسببها ، حتما ، المعارك التي من هذا القبيل .

« سأنتظرك في الخارج ! » قال لها وهو يشير بيده نحو الباب ثم اندفع خارجا .

وبعد أن خرج من الغرفة ، اضطجعت بجسدها ساكنة في السرير المشوش ، وفجأة شعرت بالخشية من أن يفر الضابط بدون أن يدفع لها . والحقيقة أنه قد خرج بمثل هذه السرعة مما بعث على الريبة ، وأحست بالضيق من مخاوفها ، وفيما كانت تقع فريسة لهذه المخاوف تمنت تقريبا بأن يكون الضابط قد فر حقا . ففي مثل هذه الحالة ستكون هي دائنة ، ولكن ليس من الناحية المالية فقط . وبكيفية ما ارتدت ملابسها بسرعة وهي عاجزة عن تحرير نفسها من مخاوفها التي كانت دبقة بالنسبة اليها كعبير الحب .

وسرحت شعرها امام مرآة الخزانة ، ولاحظت بأن عينيها قد اتسعتا في جنون الجشع ، والحنق والريبة . وفيما كانت تحدق

الى المنظر الكريه ، في اعماق المرآة ، وقع بصرها على الاوراق المطوية الملقاة فوق الطاولة الصغيرة بقرب السرير • وسرعان ما راحت تعدها بتقطيبة حب الفضول القلق • لقد كان المبلغ اكبر بكثير مما كانت تأمل الحصول عليه • وشعرت لحظتئذ بالضيق من الخشية بأن يكون الضابط قد مضى فعلا ، وأسرعت الى خارج الغرفة •

وجدته في غرفة الاستقبال جالسا على الكنبة ، وقد اضاء النور ، وملأ لنفسه كأسا من المشروب ، وامسك بغليونه بين اسنانه • ولدى رؤيته لها هب واقفا •

واقتربت منه وهي تقول « انا سعيدة لانك قدمت لنفسك كأسا من الخمر ••• أتود أن تعطيني بعضا منه ؟ »

أخذ الضابط الزجاجة وملأ لها قدحها ، فجلست وراحت ترتشف الخمرة بتعطش • انها تخشى الان رحيل الضابط بقدر ما كانت تخشى قبلته الاولى • لقد قاست كآبة جسدية ، شعورا بالفراق مهينا ومدمرا • كانت تود منه أن يبقى ، اذ في وسعهما أن يستمرا في معاقرة الخمرة معا ، في وسعهما أن يثملا • كانت تتوق الى الشرب لانها كانت تعتقد أنه سيكون في وسعها ، اثناء الشرب أن تخبر الضابط بأشياء كثيرة كانت تدرك تماما بأنها لسوف تضطر لان تقصها على شخص ما في وقت من الاوقات •

وملأت لنفسها كأسا أخرى وشرعت تملأ له قدحه • الا أنها رأته يبدي رفضا بحركة من يده • فسألته متخوفة « ألا تود أن تشرب كأسا أخرى ؟ »

« كلا ، شكرا ! »

وهتفت وعيناها تشعان بأمل مفاجيء « عندي فكرة ، لماذا لا تبقى وتتناول طعام العشاء معي ؟ سأعد اليك وجبة لذيذة • سأعد اكلة السباغيتي • هل تحب اكلة السباغيتي ؟ »

أجاب بأسف « أجل ، اني احبها فعلا ، ولكني اخشى ، اذ علي أن امضي ! »

«كلا ! لا تمض• امكث لتناول العشاء، ولقضاء الليل أيضا»

« ذلك مستحيل ! »

« ليس في وسعك ان تتحمل رؤيتي الان ••• لقد انتهت غايتك ؟ »

وشعرت بالراحة لرؤيته يهز رأسه بدهشة ، كما لو أنها قد اتهمته بجريمة لم يرتكبها • وقال ببساطة « اني اتمنى أن ابقى• مطلق شخص في وضعي يتمنى لو يبقى • ولكن ذلك ليس في وسعي • » واذ انتهى من قول هذا قام واقفا • وكان الرعب قد استولى عليها ، وقد امسكت بيده ، وهي تنحني الى الامام ، وقربتها من شفتيها • وراحت ترجوه « لا تمض » وبدون أن تدرك ما كانت تقول أضافت « ان لدي شعورا بأنك اذا ما بقيت ، سأقع في حبك ! » •

وراح يشرح لها « ان علي أن امضي امتثالا لاسباب عسكرية صارمة • » ثم اضاف بابتسامة ليس فيها من الخبث شيء « غدا ستحصلين على رجل آخر ، وستنسين كل ما يتعلق بي ! »

ولم تتجرأ على مناقضته ، فسارت في اثره بضجر وكآبة ، وهي تثبت من شعرها ، وتعض على شفتيها • وارتدى الضابط معطفه النصفي ، وانتشل مصباحا من جيبه ومضى نحو السلم • وعند اسفل السلم ، ووسط ظلمة الحديقة ، اضاء شعاع المصباح اللامع على جانب السيارة الموحل • وسارا هابطين الدرجات الاخيرة • ومد الضابط يده وهو يقول :

« الوداع ! »

« الوداع ! » اجابت وهي تسلم عليه بيدها • ثم أضافت « ادخل اليها ، فسأفتح أنا لك البوابة ! »

ودخل الضابط السيارة وادار محركها • واثناء ذلك كانت المرأة قد مضت لتفتح البوابة • لقد كانت بحاجة لكل قواها لتتمكن من فتحها على مصراعيها • وخرجت السيارة الى الطريق• ثم تذكرت فجأة بأنها بعدما فتحت البوابة في المرة الاولى ، قصدت لتنظر الى دجاجاتها داخل الحظيرة • كيف كانت الدجاجة مملوءة بالشعور بالكبرياء قبل العملية الجنسية ! وكيف امتلأت بالشعور

المماثل عينه بعد العملية الجنسية ! وكيف حررت نفسها بسرعة من قضية الحب ــ نفشت ريشها وانتهى كل شيء ــ ولكن في الوقت ذاته كم بدا اليها مزيفا ذلك الشعور بالكبرياء ، وكم كان حقيرا أمر نفش الريش .

وجفلت اذ سمعت السيارة تسير مبتعدة في الليل ، فأغلقت البوابة ، جانبا بعد الاخر ، واتجهت نحو الباب الامامي « بشعور بالكبرياء وبنفش الريش . » هذا ما فكرت به فيما كانت تدلف الى الداخل .

امرأة من المكسيك

كان يوما دافئا ، ممطرا ، وقد ادرك سارجيو حالما خرج من المنزل ، بأنه كان مخطئا ، اذ انه قد ارتدى بذلة شتوية ثقيلة ، في حين كان يجب ، في مثل هذا الطقس الاستوائي تقريبا ، أن يرتدي بذلة ربيعية خفيفة . وأكثر من ذلك ، فقد حمل نفسه عبء معطف شتوي ذي بطانة مزدوجة عند الصدر ، مما يعني أنه لم يكن يرتدي صدرة وانما هذه البطانة المزدوجة كانت تنوب عن الصدرة ، وتغطي له صدره وبطنه . وبالاضافة الى كل هذا كان يلبس صدرة صوفية تحت القميص ، تأتي فوق لحمه مباشرة ، وجوربا صوفيا في قدميه ، ولفاعا يلفه حول رقبته ، وقد أمسك بالمظلة باحدى يديه والقفاز بالاخرى .

ولم يكن قد سار بضع خطوات فقط حتى بدأ يشعر بأنه كان مجهزا بالثياب كأحد فرسان العصور الوسطى . وادرك بأن هفوته هذه كانت بسبب تلك السحب السوداء الكريهة ، التي كانت تتجمع وتشكل كوما مشوشة في كبد السماء ، وبسبب أمه كدلك ، التي جاءت فيما كان يرتدي ملابسه ، لترجوه بأن يتدثر جيدا بحق السماء .

وللحظة فكر بأن يعود ويخفف من حمل ثيابه ، الا أنه سرعان ما تخلى عن هذه الفكرة ، اذ كان يقطن في الطابق الاخير ، وقد كان المصعد معطلا ، وارتقاء السلم وهو يرتدي كل هذه الملابس سيكون مسعى غير محمود . على أنه كلما كان يزداد سيرا في

الشوارع المزدحمة بالناس ، كلما كان يزداد ازعاج ملابسه وثقلها وحرارتها ، بالاضافة الى المزاج الرديء الذي كان يتفاقم فيه كذلك . لقد كانت تمطر ، ولكن ـ الاسوأ من هذا ـ أنه كان مطرا خفيفا وليس كافيا لان يبرر استعمال المظلة حتى، وانما كان كافيا لان يغطي الارصفة برطوبة أشبه ما تكون بالندى المزحلق للاقدام . وكان هذا المطر يبدو بأنه يزيد الهواء اختناقا . ولم يكد سارجيو يبلغ رأس الشارع حتى بدأ يشعر بأن العرق كان يرشح منه .

كان قد خرج من المنزل بقصد النزهة ، لكنه وجد ، وجميع هذه الملابس فوق جسمه ، بأن نزهته لم تكن تأتي بالنتيجة المريحة المسلية المعتادة ، بل على العكس ، لقد كانت عينه ، وهو غارق من قمة رأسه حتى أخمص قدميه بالحرارة المضرة ، مركزة بشراسة على أحط وأبشع مناظر المدينة قاطبة . وكما لو أنه كان يرى جميع الاشياء للمرة الاولى ، بدأ يشعر بفظاظة واجهات المحال المليئة بالبضاعة التي تبدو له بلا قيمة تماما ، وبحقارة الازقة الضيقة الرطبة والمعتمة ، المليئة بالنفايات ، والتي تتردد اليها الهررة المتجولة، المظلمة ، وبسماجة ملابس النساء ، وبضعة ثياب الرجال، وبمنظر الوجوه المنهوكة، التي كانت تتجه نحوه بدون انقطاع من خارج ظلمة الشارع ، فتندفع الى الامام لتتقابل واياه ثم تختفي . وكانت المدينة التي اعتاد أن يحبها كثيرا ، تبدو له الان وكأنها كومة من النفايات ، يمتزج فيها الرجال والاشياء بشكل مشوش ، حيث لكانوا في مكان آخر ، وفي أوضاع مختلفة ، يحتفظون بنضارتهم ونزاهتهم من التعفن والفساد .

وأثناء ذلك كان الظلام يخيم سريعا ، وبدون أن يعرف ماذا يفعل توقف أمام واجهة محل لبيع التبغ ، وراح ينظر الى « الغلايين » والى « أوراق اللعب » المعروضة في الواجهة من غير أن يراها تقريبا . والشيء الذي كان يزعجه كثيرا في تلك اللحظة هو فردتا جوربه الصوفي ، كان يحاول أن يحرك اصابع قدميه داخل حذائه ، فيشعر أنها ملتصقة ببعضها ، كما لو أنها كانت على

وشك الذوبان ، مثل الشمع . واندفع احدهم خارج المحل وربت على ظهر سارجيو ، فرفع هذا بصره اليه ، وأدرك أنه كان لوشيانو وهو صديق له .

لم يكن سارجيو قط ليكن الود الكبير للوشيانو الذي كان من ضمن اصدقاء المدرسة القدامى . ولعله لم يكن يلتقي به ، خلال العشر سنوات الماضية ، اكثر من مرة أو مرتين في العام الواحد . ومع أنه لم يكن يحبه، وفي الواقع لم يكن يشعر بالرغبة لرؤيته، فقد كان دائما عاجزا عن قطع هذه العلاقة السخيفة المفككة به . وفي الحقيقة كان يدرك أن في لوشيانو تشخيصا لجزء منه كان يكرهه ، ولكان قد تخلص منه ، عن طيب خاطر ، لو كان قد تسنى له ذلك . أما من ناحية الشخصية فكلاهما كان شبيها بالآخر لدرجة كبيرة ، كلاهما كان ضئيلا ومعتم اللون ، وذا ملامح جميلة ، وأنيق الملبس . الا أنه كانت لوجه لوشيانو امارات الدعارة السوقية ، في حين كان يخيم على وجه سارجيو تعبير رقيق وبالتالي كئيب . وكان لوشيانو شاحبا بل رمادي الوجه تقريبا ، وذا جبهة صلعاء تمتد الى الوراء تحت شعر خفيف للغاية، وفوق عينين بليدتين لا حياة فيهما . أما سارجيو فقد كان ذا وجه نضر ، وشعر كثيف لامع ، وذا نظرة حية . وكلاهما ، كما كانا يصرحان ، كان من عائلة محترمة . ولكن في حين كان سارجيو يعيش مع اهله ويعمل كمحام في مكتب والده الذي كان محاميا كذلك ، كان لوشيانو يترك منزل اهله ويعيش في غرف مفروشة. ولم يكن يعمل ايضا ، وانما كان يقضي اوقاته مع الناس الذين كان يلتقي بهم في هذه المنطقة ، من ممثلات ، ومقامرين محترفين، وشبان كسالى عاطلين عن العمل . لكن هذا العالم كان كريها بالنسبة لسارجيو بقدر ما كان كريها شخص لوشيانو ، صديقه القديم منذ ايام الدراسة . ولكن كلا من لوشيانو او عالمه كان ، بنوع من السحر غير المفهوم ، يجذبه اليه ، بالرغم من انهما كانا كريهين بالنسبة لسارجيو ، ولم يكن قادرا قط على ان يتجاهل صديقه هذا ، عندما كان يصادفه في فترات متقطعة نادرة .

وفي مثل هذه المناسبات ، كانا يبقيان بصحبة بعضهما طوال المساء ، او طوال الليل ، فيتناولان طعام العشاء ، او يمضيان الى مكان ما آخر . وفي اليوم التالي كان سارجيو يشعر بالحقارة امام ذكرى الليلة السابقة التي امضاها مع صديقه الحقير ، وكان يقسم لنفسه بأنه لن يسمح بحدوث مثل هذا العمل مرة ثانية .

ولدى رؤية لوشيانو ، شعر سارجيو بالغريزة ، بأنه يود ان يتحاشاه . ولكن صديقه كان قد رآه واقترب منه ، فسلما على بعضهما وسارا هابطين الشارع معا . وكان لوشيانو يبتاع علبة من اللفائف ، فقدم واحدة منها لسارجيو الذي كان يود ان يرفض غير انه لم يستطع الا ان يقبلها . وبعد مضي فترة سأله لوشيانو : « كيف حالك ؟ »

فأجاب سارجيو بحدة « إني في خير ! »

« هل انتم جميعا بخير في المنزل ؟ »

« أجل ، جميعنا ! »

« أما زلت تعمل في مكتب المحاماة ؟ »

« أجل ! »

وبدا على صديقه أنه يعاني من مزاج سيىء، فارتاب سارجيو في أن يكون قد لاحظ حركته الغريزية الاولى في أن يتحاشاه . فشاء أن يكون محتشما معه ، وفكر بأن يسأله ، بدوره ، عن أخبار أحد ما يخصه ، ولكن بما أنه لم يكن يعرف عائلته ، فلم يستطع ان يفكر بأفضل من ان يسأله عن عشيقته . ويقصد عشيقته التي كان قد رآها معه قبل ستة اشهر تقريبا . وقد كانت ، كما يذكر ، امرأة فتية تماما ، وجميلة ، ووضيعة للغاية كجميع النساء اللواتي يعاشرهن لوشيانو، وبغض النظر عن هذا الانطباع المشوش للشباب والجاذبية والضعة ، فلم يكن قادرا على أن يتذكر شكل صورتها أو شخصيتها . حتى ان اسم ألبينا الذي استخرجه من اعماق ذاكرته بدا له غير أكيد . على أنه سأل «وكيف حال ألبينا؟»

وتوقف لوشيانو ليشعل لفافته من جديد ، بعد أن انطفأت. ومن خلال لمعان لهيب الولاعة الضئيل ، لاحظ سارجيو بأنه كان

لسؤاله تأثير واضح على وجه لوشيانو ، ولكن لم يكن سهل التحديد . وكان برود لوشيانو على شيء كبير من الابهة ، وبعيدا عن الحقيقة . وقال بلهجة تهكمية « أه ، ألبينا ! أنت تذكرها ، أليس كذلك ؟ لعله يسرك ان تعلم بأننا في هذا اليوم بالذات قد افترقنا عن بعضنا نهائيا . »

فسأله سارجيو بدهشة « ولماذا هذا سيسرني ؟ »

فاستمر لوشيانو « ان ألبينا لهي ... » ونطق بكلمة بشعة أجفلت سارجيو الذي لم يكن ليطيق مثل هذه اللغة ، وبخاصة بالنسبة للنساء. وتابع « لقد تضايقت منها تماما ... وهكذا طلبت اليها أن ترحل ... ان هذا يسرك ، أليس كذلك ؟ »

فأجاب سارجيو وهو مرتبك « هذا لا يسرني بشيء، بل على العكس ، اني اشعر بالاسف ... »

توقف لوشيانو وراح يتفحصه من رأسه حتى قدميه بتعبير تهكمي ، ثم قال « انك لرجل طيب . اذن انت تشعر بالاسف ، اليس كذلك ؟ أتود أن تعيد هذه العبارة ؟ »

« أجل ، اني أشعر بالاسف ! »

فقال لوشيانو « والاسوأ من هذا أنك لست خجلا ! »

« ولكني ... »

« أنت تحب ألبينا ... كثيرا ، اليس كذلك ؟ والان تشعر بالسرور لانها لم تعد تعيش معي ... » وأمسك لوشيانو عن الكلام للحظة ليتلذذ ، وهذا واضح ، بالصرامة التي تحويها هذه الكلمات . ثم أضاف بازدراء « لا ريب في أنك صديق طيب ... ولكن طبعا ، جميع الاصدقاء سواء . الجميع يهدفون الى أن يجعلوا من صديقهم ديوثا . »

وأحس سارجيو بالحَيْرة . اذ لا يذكر اطلاقا أنه قد وجه أي اهتمام خاص بألبينا في المناسبتين أو الثلاث التي رآها فيها بصحبة لوشيانو . ولا يذكر كذلك أنه لاحظ أن ألبينا قد وجهت اليه اي اهتمام. وقال بشيء من العصبية «ولكن اؤكد لك بأني ...»

وقاطعه صديقه « هل تعتقد حقا بأني لم انتبه اليك ، في ذلك

اليوم الذي مضينا فيه الى السباق ، ثم تناولنا طعام الغداء معا ؟ انا لست أعمى ... على كل حال ... »

« ولكن ذلك اليوم ... في الحقيقة ... »

فقال لوشيانو وهو يتوقف أمام باب مدخلٍ صغير في شارع جانبي : « والان ، هنا تسكن ألبينا . وكان عليّ أن آتي الى هنا لاعيد اليها قفازها هذا ... ولكن سيكون من الافضل كثيرا ان انت دخلت وقمت بهذا العمل . اذهب انت اذن ... امضِ واعطها القفاز . » ودس في يده فردتي قفاز مجعدتين . « امضِ واخبرها بأنّ كل شيء بالنسبة الي قد انتهى . وطبعا التركة مباحة ، والشاطىء جلي، فامضِ واستغل الظرف بقدر ما تستطيع. ستكون هي مسرورة جدا ... وهذا ما هي تريده بالتمام ! »

« ولكن يا عزيزي ، اني ... »

« ماذا تنتظر ؟ هيا ، امضِ ! » ودفعه لوشيانو دفعة سيئة أرغمته على ولوج المدخل « هيا ... ستسر . وأنت تعرف ذلك . وقد وفرتُ عليك التعب للبحث عن العنوان . وجئت بك حتى الباب ... أو هل تود مني ان آتي وانزع لك ملابسها ؟ »

« ولكن يا لوشيانو ... »

ولم يكن لوشيانو ليلقي اهتماما الان بأي شيء كان سارجيو يقوله . واستمر « حسنا ، اتفقنا اذن . كن طيبا معها ، وادعُها لتناول العشاء معك . ولا تكن بخيلا ... ليحالفك الحظ . » قال هذا وودعه بسلام من يده ثم توارى عن الانظار .

●

أما الان وقد اصبح سارجيو وحيدا من جديد ، فقد شعر بأنه غارق بالعرق اكثر من السابق . اذ اضيف الى حرارة الطقس الاحساس الكريه بوضع زائف . فالذي كان يحدث له كان يبدو أنه أمر مستحال كل الاستحالة . مع أن الشعور بالاستحالة هذه لم يكن يضايقه كثيرا بقدر ما كان يضايقه موقف لوشيانو وموقفه هو . فالاستحالة هذه يمكن أن تشرح على الوجه الاتي : إما أن

يكون لوشيانو يشعر بالغيرة منه بدون أي سبب ، واما ان تكون ألبينا قد استفادت منه كيما تشعر عشيقها بالغَيْرة . أما الذي جهزه بمادة التفكير كان ، من ناحية ، ازدراء لوشيانو الهادىء ، كما لو كان من الواضح أنه ــ سارجيو ــ يهدف الى ازاحته واحتلال مكانه في حظوة ألبينا ، ومن ناحية أخرى ، ميله المفاجىء لتقبل دور الخائن الذي الصقه بــه لوشيانــو .

لقد كانت لسارجيو فكرة العزة بنفسه، امام الامور الصعبة. أما الان فانّ الاغراء الذي اثاره في تفكيره خطأ لوشيانو جعله يشك بنفسه . وفكر « إنه من الواضح تماما أنّ كلّ ما علي أن افعله هو أن اتخلى عن فكرة الاقتراب من « شقة » ألبينا ، وأعود الى المنزل ، وعندئذ سيقتنع لوشيانو بانه كان مخطئا . » ولكنه لاحظ بالرغم عنه ، أنه في اثناء ذلك قد خطا خطوة او خطوتين في الرواق داخل المبنى . كان مبنى قديما قذرا ، وكان الرواق معتّما ، والهواء مشحونا برائحة رطبة عفنة . ومع ذلك ، فالمنزل القديم والقذارة والرائحة والظلمة كل هذه افتتنته وأثارته، بطريقة غامضة . وشرع قلبه يزداد في وجيبه ، وخذلته انفاسه تقريبا . وأخيرا قال مخاطبا نفسه فيما كان يسير متقدما نحو آخر الرواق « لسوف اسلمها القفاز ثم امضي . » .

وارتقى الرُدَّه (١) الثلاث من السلّم، وعقلُه في حالة مزيجٍ من الضيق والحماس ، وفي نور معتّم قرع الجرس المثبت فوق باب صغير بدا أنه مطليٌ بالزفت ، وجاءت امرأة هزيلة تفتحه ، وكانت مشعثة الشعر، ترتدي مئزرا وعلى ذراعها طفل، وفي يدها مروحة. ولدى ذكر ألبينا ، اشارت بالمروحة الى باب يقع في نهاية الرواق، دون أن تنبس ببنت شفة . واجتاز سارجيو قاعة صغيرة خالية ، وهو يحمل قبعته باحدى يديه، ومظلته بالاخرى ، وقد شعر بالقلق اكثر من السابق ، وسار الى نهاية الرواق وقرع على الباب .

ودعاه صوت امرأة للدخول، فدفع الباب ودلف الى الداخل، فوجد نفسه في غرفة صغيرة ضيقة بدت وكأنها مجرد ذيل للرواق.

(١) Flight of Stairs : ردهة السلم. وتعرف بالعامية بسفرة السلم.

وفي جانب واحد وصف واحد كانت ثمة خزانة صغيرة ، وكنبة مغطاة بقماش بال ، بالاضافة الى كرسي وطاولة صغيرة . وفي الجانب الاخر كانت ثمة فسحة متروكة ، تسمح بالحراك لشخص واحد فقط . وفي الطرف الاقصى بمواجهة النافذة المغلقة ، كانت تقوم طاولة قديمة للزينة ، ذات منسوجات باهتة وشرائطُ وسخة. وكانت ألبينا تجلس الى طاولة الزينة هذه ، وكانت اليتاها المستديرتان تبرزان خارج المقعد الصغير المستدير الذي كانت تجثم فوقه . كانت ترتدي قميصها الداخلية الخضراء الشفافة ، وكانت تنهي تسريح شعرها بالفرشاة ، ورأسها محني الى جانب واحد ، وذراعها العارية مرفوعة وهي تستعمل الفرشاة . وقالت بصوت هادىء « هل هذا أنت يا لوشيانو ؟ »

فقال سارجيو مخاطبا نفسه « سأسلمها القفاز ثم امضي في سبيلي . » وأجابها وهو مرتبك « كلا ! أنا سارجيو ! »

فاستدارت ألبينا فجأة ، بحركة انتفاضية تقريبا قام بها جسدها بكامله ، وبياض عينيها ظاهر ، وقد تمغط ثدياها الاسمران الممتلئان بشدة تحت «دانتيلة» قميصها المزركشة . وسار سارجيو متقدما منها ، وقد شرع بالكلام وهو يحاول أن يتبنى لهجة مؤدبة مفككة :

« لعلك لا تذكريني ، وستدهشين لرؤيتك لي ادخل عليك بدلا من لوشيانو ... اني جد آسف . ولكني أحمل خبرا سيئا. لقد طلب الي لوشيانو ، منذ دقائق ، ان أخبرك بأنه ليس قادما وبأنه لا ينوي أن يراكِ بعد الان ... وقد سألني أن اوصل اليكِ هذا القفاز . » وانحنى الى الامام ووضع القفاز فوق طاولة الزينة.

كان من المتوقع أن تتفوه بشيء ما ، تعقيبا على تصرف لوشيانو . الا أنها ظلت صامتة تحدق اليه بفضول . وهو أيضا راح يحدق اليها وقد لاحظ ، بشيء من الندم ، بأنها كانت فتاة جميلة للغاية ، وقد افتتنته . وكان لرأسها ، بعينيه السوداوين المستديرتين ، وأنفه الاقنى ، وفمه الجميل ، جمال رأس العصفور وكياسته . الا أن رقبتها كانت سمينة ، وكانت كتفاها عريضتين ،

أما صدرها فقد كان غنيا ، وذا بشرة لها لون أسمر دافىء . وكانت ألبينا ، بقميصها الداخلية القديمة الباهتة ، وبابطيها غير المحلوقين، الناعمين والمشعرين الاسودين ، توحي بطابع الاهمال العظيم بهندامها ، ان لم تكن توحي بطابع القذارة الحقة . لكنّه ادرك ، بان هذا الطابعَ حتى ، لم يكن خاليا من الجاذبية بالنسبة اليه . وهو مضطرب أضاف بما لا يتفق ومشيئته «واذا شئتِ ولم يكن لديك شاغلٌ اهم ، ففي وسعنا ان نتناول طعام العشاء معا ! »

وفي الحال ندم على دعوته هذه ، وأمل منها ان ترفضها . واخيرا قالت ألبينا بتؤدة «ان لوشيانو لكذاب .. اذ انا هي التي لم تعد تود ان تقيم اية علاقة معه ... لكن هذا ليس سببا يخولك بأن تشمت بأي شخص . وهل تعتقد حقا بأني لم اكن ادري ماذا كان يجري؟ »

اذن البينا أيضا كانت مقتنعة ، مثل لوشيانو تماما ، بأنه كان يحاول ان يتقدم منها . فأجاب وهو ثائر «سواء كنت اعتقد ذلك او لم اكن ، فقد جئت لكي أعيد اليك قفازك! »

واستفزته البينا «ولتدعوني لنتناول العشاء معا ، حسنا ، الى أين سنمضي ؟»

اذن لقد قبلت دعوته . ولم يستطع سارجيو إلاّ ان يشعر بالفرح . فأجابها «الى أي مكان تشائين!»

فقالت « لنمضِ الى مطعم باولوني. فان الطعام لذيذ هناك.»

ورفعت الفرشاة من جديد ومضت تستأنف تسريح شعرها بنشاط. ثم سألته «لماذا لا تجلس؟ ماذا تفعل بوقوفك جامدا مثل القضيب؟»

وجلس سارجيو فوق الكنبة بعدم لباقة ، وهو مرتبك بثيابه الثقيلة . لقد امتزجت فكرة القيام بالمغامرة مع البينا الان ، في رأسه ، بالرغبة الجنونية للتحرر من هذه الملابس . وراح يفكر باللحظة التي سيخلع فيها ثيابه في هذه الغرفة الصغيرة ، التي لم تبدُ أنها مشحونة بالقيظ بأي شكل . وخيّل اليه بأن قضية خلع ملابسه ستضفي عليه سعادة تفوق سعادته بامتلاك البينا نفسها . ولكن يا للاسف ، سيمضي طويل وقت قبل ان تأتي تلك اللحظة

المباركة . وقالت البينا دون ان تنظر اليه :

« اذن انت مسرور بافتراقنا عن بعضنا ، انا ولوشيانو!»

وتلعثم سارجيو وهو يقول «في الحقيقة.. في الحقيقة انا..»

واستأنفت البينا كلامها «لم تستطع ان تصدق بان ذلك كان حقيقة. ولكن يبدو لي باني ارى كل شيء .. ففي اللحظة التي اخبرك بها لوشيانو بان كل شيء قد انتهى بيننا ، ضحكت من الفرح ، واندفعت قادما الى هنا .. ظنا منك بان هذه هي افضل لحظة ممكنة . أليس كذلك ؟ »

فقال سارجيو بشيء من النشاط « اني اقسم بانك مخطئة.»

«ماذا تعتقد اذن؟ باني لم اتنبه؟»

«الى ماذا لم تنتبهي؟»

«في المرة الماضية عندما تقابلنا مع لوشيانو .. في ذلك المطعم.. اذ لم تكف حضرتك لحظة عن الضغط على قدمي من تحت الطاولة. وقد شوهت لي فردة حذائي فعلا. انك لشخص طيب حقا.»

وظل سارجيو صامتا لفترة قصيرة . اذ اصبحت المسألة الان تتعلق بالحقيقة الواقعة : لقد ضغط على قدمها بدوافع غرامية . وتذكر بالفعل ذهابه الى احد المطاعم بصحبة لوشيانو والبينا . وتذكر كذلك بان البينا ولوشيانو قد جلسا بمواجهته ، فوق مقعد بجانب الجدار . لكنه متأكد كل التأكيد بانه لم يضغط على قدمها عن عمد . وربما يكون قد رفسها تحت الطاولة، بدون ان يقصد ذلك . وعلى الارجح ، كما بدا له حتى الان ، بان تكون البينا هي التي اختلقت كل هذه القصة كيما تشعر لوشيانو بالغيرة.

اما وقد اطمأن بنتيجة امتحانه هذا للوضع، فقد شرع يقول ببطء «اني جد متأكد بأنك مخطئة.. اذ من المستحيل أن أكون قد استطعت التفكير بالضغط على قدمك تحت الطاولة. انه امر لا آتيه في أي ظرف.. وربما انك تخلطين بيني وبين شخص آخر.»

فهتفت بازدراء «شخص آخر ليس حبيبا ! كلا، انا لا

اخلط بينك وبين أي شخص آخر. ففي هذه الامور لا ارتكب اخطاء ابدا!».

وفكر سارجيو وهو مهان «حقا انها لسوقية» ولكنه كان يدرك بان هذه الوضاعة ، بالاضافة الى المكان والمرأة ، لم تكن خالية من الجاذبية بالنسبة اليه . وحاول ان يتخذ طريقة متهورة فاسقة «أه ، حسنا . ما دمت ايجابية للغاية بشأن القضية ، لاقر اذن باني قد ضغطت على قدمك تحت الطاولة .. وماذا بعد ذلك؟»

وضعت ألبينا الفرشاة من يدها وقد انتهت من تسريح شعرها الذي راح الان ، وهو ناعم ومحلول ، ينام فوق كتفيها على شكل مروحة . ثم استدارت نحوه وقالت «تعال الى هنا!»

لقد استعملت بعبارتها هذه كلمة «أنت» الوضيعة . مما أزعج سارجيو . فوقف وتقدم خطوة واحدة . فأصرت «قلت تعال الى هنا!»

وتقدم سارجيو خطوة اخرى ، فقالت المرأة بمجون ، وبالطريقة التي يخاطب بها الكلب «أجث هنا»

«ماذا تعنين؟»

فقالت «اجث هنا». واحنى سارجيو ركبتيه داخل طياث معطفه الثقيل، وجثا على الارض، وقد وجد نفسه وجها لوجه مع البينا الجالسة فوق كرسيها. ورفعت ذراعها القوية والمستديرة، وشرعت تقول وهي تضع يدها على قفا رقبته «ليس صحيحا اني لا احبك.. في الواقع لا ريب باني أحبك .. »

وفكر سارجيو «ماذا افعل أنا؟» الا انه قرب وجهه من وجه ألبينا ، كما لو أنه سيقبلها. وفي الحال دفعته عنها هاتفة « كلا! كلا!.. كن عاقلا الان .. قلت باني احبك، ولكن هذا ليس سببا كافيا تماما .. أه، انه رجل مكار ، اليس كذلك؟» وضحكت بطريقة سمجة ، كاشفة عن اسنانها الصغيرة البيضاء ، وضربته على صدره ضربة امرأة قروية حقيقية، قوية،وقاسية . وفقد سارجيو توازنه ووقع الى الوراء ، وجاء فوق الارض في وضع جلوسي.

وطفق يجاهد ليقف على قدميه وهو غضب من نفسه. وأدرك ، بتسليمه بانه قد ضغط على قدم ألبينا ثم بمحاولته لتقبيلها ، بأنه قد اقر اقرارا باتا بان لوشيانو كان على حق. والاسوأ من هذا انه لم يحصل على أي نتيجة. وسألها بانفعال «أجيبيني مرة واحدة فقط، هل تحبينني أم لا ؟»

فأجابت ألبينا «لم تتركني لاتمّ كلامي. أجل اني احبك. ولكن ليس هذا من المستحسن ، فأنا لست لك ... اني للوشيانو .. » ونطقت بهذه الكلمات الاخيرة بلهجة الموالاة المناهضة العمياء ، كاحدى نساء الاحياء القذرة الحقيرة ، اللواتي لا يبحثن مع عشاقهن ما اذا كانوا يخونونهن أو يشهرون بهن . ولم يستطع هو أن يمنع نفسه من القول « ولكنّ لوشيانو لا يود ان يقيمُ معكِ أية علاقة بعد الآن ! »

« ذلك لا يهم : أنا للوشيانو ، والاكثر من هذا أنك صديق له ، وينبغي ألا تحاول أن تأخذ منه عشيقته ... فالذي تحاول القيام به ليس محمودا اطلاقا » .

وهزت رأسها بشيء من عدم الاستحسان ، ونهضت من امام طاولة الزينة . وبدت اليتاها ، وهي تقف هناك بخفيها ، جد عريضتين بالنسبة لطولها . وسارت الى المشجب وتناولت عنه فردتي جوربها المعلقتين فوقه ، ونظرت اليهما بشيء من الريبة . لقد كان الجورب الذي ترتديه الآن مرتوقا بشكل سمج ، وفيه آثار خطوط مرئية تبدو وكأنها آثار جروح . واعادت الجورب الذي تحمله الى مكانه فوق المشجب ، ومضت الى الخزانة . وبتهور تقدم منها سارجيو وهو ما يزال يرشح بالعرق بكثرة ، ولف ذراعه حول وسطها . لم تلقِ اليه بالا ، وانما فتحت الخزانة وأخرجت منها الرداءَ الوحيد الذي كانت تحويه ، وهو ثوبٌ أسمرُ رث . وقالت « هل تساعدني على ارتدائه ؟ »

و تناول سارجيو الثوب ، وعندما انحنت البينا الى الوراء بين ذراعيه ، كيما تدخل ذراعيها بالكمّين ، طبع قبلة فوق

عنقها . ولاحظ بأن بَشَرتها كانت زُلِقَة ، وبأنّ لشعرها رائحة سمجة وهتفت وهي تقوم بحركة وكأنها تطارد ذبابة « أف ! يا لك من عنيد ! »

وزرّرت الثوب ، بخصره الضيق لدرجة المبالغة ، بحيث جعل اليتيها وثدييها تبدو وكأنها ستنفجر منه . ثم قصدت الى ركن الغرفة وخلعت خفيها وارتدت ، وهي تقفز من قدم الى قدم أخرى ، فردتي حذاء باليتين . وقالت « هيا بنا لنمضي.»

واخذ سارجيو مظلته وقبعته وسار في اثرها وهو يعاني من شعور حاد بالضيق والانفعال . وعند مدخل المطبخ ظهرت المرأة النحيلة ذات الشعر المشعث ، التي تحمل طفلا فوق ذراعيها ، فقالت لها البينا « اذا اتى السنيور لوشيانو اطلبي اليه ان ينتظر في غرفتي . »

واندفعا الى الخارج ، وشرعا يهبطان السلّم الضيق جنبا الى جنب ، وكانت اليتاهما تصطدمان ببعضهما أثناء ذلك . وقالت البينا بضحكة بدت لسارجيو مهينة « انك تحتك بي ، اليس كذلك ؟ »

وقال لنفسه « امضِ الى الشيطان » لكنّ ذراعه ، كما لو أنها تتحرك بمشيئة حرة ، رفعت نفسها وطوقت خصر ألبينا . وبدون ان تنبس هي ببنت شفة ، وجهت اليه ، في الظلمة التي كانا غارقين فيها تقريبا ، ضربة عنيفة من وركها كادت توقع به ارضا . وفهم سارجيو مقصدها فترك خصرها .

كانت السماء تمطر في الخارج ، وكان القيظ أشد منه في السابق ، وقالت له البينا « افتح مظلتك . » فامتثل لها وفتح مظلته ، فتعلقت بذراعه بحركة كانت ودودة تقريبا . وسارا في الشارع معا .

وفجأة سألته « ما رأيكَ بلوشيانو ؟ »

وبدون تأمل أجاب سارجيو « أعتقد بأنه رجل كسول ، وستكون نهايته سيئة ! »

وأبدت ملاحظة بلهجة رزينة « انت لا تتناول القضية

بطريقة حسنة اطلاقا . وقد اخبرتك بذلك من قبل ... ولن تفلح بايقاعي في حبك بطريقة كلامك السيىء حول لوشيانو . »

فأجاب سارجيو بانفعال « ان تفكيري من ناحيته أسوأ من ذلك بكثير ... لم أخبرك الا بالناحية الاقل أهمية من شعوري ! »

« ومع ذلك تحاول أن تستمر كصديق له ! »

فقال سارجيو بحدة « ولكني لست صديقا للوشيانو . هل ستفهمين أم لا ؟ ان معرفتي به جد بسيطة . »

« حسنا ، قد يكون الامر كذلك . ولكن هو يقول بانكما صديقان جد حميمين ! »

« لقد كنا في المدرسة معا ، هذا كل شيء ... اذ لم يسعني قط أن أكون صديقا للذين من صنف لوشيانو ! »

« ولم لا ؟ »

فجأة تقلصت خنابتا سارجيو بغضب وأجاب « لان لوشيانو رجل ذو شخصية لا يعتمد عليها ، وأنا لست كذلك ! »

فرددت بعناد « حسنا ، قد يكون الامر كذلك ، وقد يكون حتى ، كما قلت ، بأن لوشيانو رجل لا يعتمد عليه ، غير أنه يثق بك ، وانت من ناحية أخرى ، تحاول أن تسلبه عشيقته . تلك هي الحقائق ! »

« ولكن ما الذنب في ذلك ؟ مطلق شخص قد يحاول ويقوم بالعملية الجنسية معك ! »

« أجل ، ولكن الامر مختلف بالنسبة اليك ... فأنت ولوشيانو صديقان ! »

ولم يكن ثمة ما ينبغي فعله آنئذ . وظل سارجيو الثائر والغارق بالعرق صامتا ، وفكر « يجب ان اتركها واتخلى عن كل المسألة ! » الا ان ملامسة وركه لاليتها المستديرة ، وضغط ذراعها كانا كافيين لان يغيرا رأيه . وبلغا ساحة معتمة كانت عمليات الحفر جارية فيها . وكانت بعض اشارات النيون البنفسجية تلقي بانعكاساتها فوق كوم من الوحول المداسة ،

وكانت تقوم هنا وهناك مصابيح حمراء تحذر من وجود حفر عميقة ملأى بالمياه ، وقالت البينا « انتظرني هنا ، فسأدخل الى مكتب البريد لبرهة ! »

دلفت الى داخل مبنى مكتب البرق والبريد ، ووقف سارجيو ينتظرها عند المدخل . كانت السماء ما تزال تمطر ، وكان النور المنبعث من مصابيح الشارع يكشف عن رذاذ كثيف . بحيث يبدو وكأنه سحابة من الغبار تقريبا . وكان الناس يدخلون ويخرجون من مكتب البريد ، ومعظمهم كانوا وضيعين ، وكانت بينهم نساء من الطبقة العاملة مثل البينا . وقال مخاطبا نفسه « طبعا هذه هي اللحظة الحاسمة للفرار ! » وشرع يسير ببطء الى جانب سور عال . ولكنه فيما كان يسير مبتعدا تذكر بأن لديه رسالة وينبغي ان يضعها في البريد ، فاستدار وعاد ثانية . وفيما كان يلقي بالرسالة داخل الصندوق ، شعر بمن يلمس ذراعه . وسمع البينا تقول « هيا بنا . »

وكانت تقلب احدى الرسائل بين يديها . ثم وضعتها في جيبها بدون أن تفتحها . وسألها سارجيو « ألن تقرأيها ؟ »

« انها من زوجي . كل شيء في الوقت المناسب .. »

« من زوجك ؟ »

فأجابت « اجل ، اني متزوجة ، اتعلم ... أم انك لا تعلم ؟ انه يعمل في شركة كوربتي ... انه شيطان مسكين ... يقوم بالاسفار ، يقوم بالاسفار طوال الوقت ، ودائما ما يكتب الي . لقد عملت معه لفترة قصيرة ... كنت اغني وكان هو يعزف لي على القيثارة .. الا اني ضجرت من تلك الحياة . كان علينا أن نقصد الى جميع امكنة اللهو في الاقاليم .. لكني فضلت العيش في روما . »

وكانا الان قد خرجا من الساحة ، وهما يسيران في شارع عريض موحل ، ليس له أي رصيف ، وقد قام فيه صف مزدوج من عربات البائعين المتجولين .

لم تكن البينا على عجلة من امرها لكي تتناول طعام

العشاء . فراحت تتفحص العربات واحدة فواحدة ، وحتى العربات التي كانت تبيع الكتب المستعملة ، وشفرات الحلاقة . ولم يستطع سارجيو الا ان يفكر بانها كانت ، عن حق وحقيق ، متشردة نموذجية ، من نوع النساء اللواتي يخرجن في الغَسَق من مسكنهن البائس ، كيما يمتعن انفسهن بمنظر الشوارع . ولم يكن النور البعيد المنبعث من مصابيح الاستيلين ليبدو انه قادر على ان يقلل من جاذبيتها المميزة ، وبالتالي الفاسقة . كل ما استطاع ان يفعله هو ان يظهر شحوب خديها ، وهالة التعب الصفراء حول عينيها السوداوين . واستدارت بعزم أمام باب محل لبيع الملابس الرجالية ، حيث كانت ثمة قطعة من القماش فوقه تعلن بخطوط كبيرة ، وهي غارقة بمياه الامطار « تنزيل هام بالاسعار » ثم دلفت الى الداخل وهي تقول « هيا ادخل . اود أن ابتاع رباط عنق للوشيانو ! »

وسار سارجيو في اثرها وهو مستاء من هذا الوفاء العنيد منها . كان المحل صغيرا وفي حالة يرثى لها من الفوضى ، حيث لم يبدُ بأن الاسعار هي وحدها التي هبطت ، وانما جميع البضاعة كذلك ، قد هبطت فوق الة المحاسبة . وعرض البائع على البينا عرمة من اربطة العنق المعقودة ، الرخيصة ، وبحرص اختارت البينا اقبح رباط من بينها ، ثم سألت سارجيو « انه رباط ظريف حقا اليس كذلك ؟ »

«بالفعل ، انه جد ظريف !»

وسألها صاحب المحل « هل هو لهذا الشاب الظريف ؟ انه مناسب تماما للرجل الظريف !» وراحت ألبينا تبحث في حقيبتها بطريقة مرتبكة ، فقال لها سارجيو بدافع من التدقيق الحقود «دعيني ادفع ثمنه» وقالت البينا لسارجيو عندما اصبحا في الخارج «شكرا ولكن لا تمضِ وتخبر لوشيانو بانك انت الذي دفع ثمنه» « ماذا تحسَبينني ؟ »

وطفقا يتأملان داخل واجهات المحال ، من جديد . وتوقفت البينا لفترة طويلة امام واجهة محل لبيع الاحذية ، ثم قالت

« بما انك قد شوهت لي حذائي برفسك لقدمي تحت الطاولة ، فينبغي عليك ان تبتاع لي واحدا جديدا . »

وكانت لهجتها ماجنة ولكن ليس كليا . كانت ألبينا تأمل حقا ، وهي الطفيلية ، بان تبتز منه حذاء كهدية . وتردد سارجيو للحظة ثم قرر ان يبتاع لها الحذاء . سيبقى معه من المال ما يكفيه لحفلة العشاء ، ولكن ليس للهدية التقليدية بعد العملية الجنسية. وبكيفية ما، فكر بأن ألبينا ستقنع بالحذاء، وقد كانت تحدق اليه بأمل كبير . فقال ببطء « كيف للوشيانو ، وهو المغرم بك كثيرا، ان يتركك تسيرين في حذاء مرعب كهذا ؟»

«انا لا اريد اي شيء من لوشيانو ! »

« اعتقد بانك انت التي تدفعين ثمن حذائه ! »

ولم تختر البينا اي اجابة ، وخلص سارجيو الى التفكير . كما كان دائما يشك،بأن لوشيانو لم يكن ليترددقط في اخذ المال من عشيقته . وقال بعد لحظة «هيا بنا اذن . هيا لنبتاع هذا الحذاء!»

فقالت البيناء ومن الواضح أنها قد تخلت الان عن الامل بشراء الحذاء لانها قد قامت بفزة فرحة للمفاجأة « هل تتكلم بجدية ؟ »

« اجل بجدية تامة ! »

ودخل المحل ، وكانت البينا تطير من الفرح ، كما كان واضحا من الطريقة التي كانت تتبختر بها واليتاها تتأرجحان ، في اجتيازها لجميع المراياوالعلب ، وكأنها طاووس . وجلست ومدت قدمها لعامل أشقر الشعر ، ثرثار. ودهش سارجيو عندما رآها تختار من بين جميع الاحذية التي قد اقترحها عليها هذا العامل ، حذاء رياضيا ، جسيما وزاهي اللون ، ذا نعل صفراء من «الكريب . » فقال لها « الن يكون من الافضل ان تختاري حذاء بلديا اسود ؟ »

فأجابت ألبينا «كلا، هذا أفضل، لانه لن يتشوه عندماتضغط على قدمي تحت الطاولة ! » كان هذا مزاحا وجدت فيه طريقة للتعبير عن امتنانها . ولكن سارجيو احمر خجلا ، جزئيا ، لان العامل نظر اليه وابتسم .

وفي الخارج هجمت البينا عليه وقبلته فوق خده بعنف وهي

تقول «شكرا، اني جد ممتنة لك ..» فرد سارجيو بتبرم «لقد قبلتني على خدي كما لو كنتُ والدك ! »

« ان لوشيانو هو الشخص الوحيد الذي اقبله بفمه ! »

وفيما كانت ألبينا ترتدي الحذاء الجديد الثقيل ، الضيق عند اليتيها العريضتين ، وتحمل حذاءها القديم في علبة تحت ذراعها ، وقد امتلأت بالفرح والكبرياء والشعور بالفاقة ، كانت تبدو مؤثرة تقريبا . ولدى جوابها ، هدّأ سارجيو من روعه بان فكر بأنه قد قام بعمل محمود على كل حال .

وبعد مغادرتهما للمحل الذي ابتاعت منه ألبينا حذاءها الجديد ، قصدت مباشرة الى محل قريب مختص بتصليح الاحذية القديمة . وفيما كانت تقف بين أكوام الاحذية الممسوخة والمحجوبة بالغبار ، تتصاعد منها رائحة الاقدام والجلود الرطبة المخمة ، راحت تشرح مطاليبها الى الاسكافي ببعض الاسهاب . ثم ابتاعت الطلاء لحذائها الجديد واندفعت الى الخارج .

واستمرا في سيرهما عبر الساحة المظلمة الحقيرة ذاتها ، من شارع الى شارع ومن عطفة الى اخرى . وفجأة ، وفيما كان سارجيو يتلفت حوله ، رأى زجاجا ملونا لباب احد بيوت الدعارة ، وفي الناحية الاخرى رأى مبولة ، وعلى مسافة قريبة مدخل احد المطاعم . أما تحت قدميه فقد كانت توجد حجارة الرصيف الموحلة ، واللامعة عادة ، بالاضافة الى جذوع الملفوف المبعثرة هنا وهناك ، والهررة الجائعة المتجولة . وخرج ثلاثة رجال من بيت الدعارة وهم يضحكون ويتحدثون بأصوات عالية ، وساروا متوجهين الى المبولة . وكان سارجيو على وشك ان يقول ملاحظا: « انه لمكان جميل » ! ولكنْ لم يسمح له الوقت بذلك ، لان ألبينا توقفت امام المطعم وقالت معلنة « ها قد وصلنا ! » .

وعلى ألواح زجاج باب المدخل ، في الحقيقة ، كانت ثمة كتابة متلاحقة مرسومة بطلاء ذي لون قرمزي غامق : مطعم باولوني . اختصاصي بالمأكولات الرومانية ، والنبيذ الكاستيلي . ودفعت ألبينا الباب ، ودلفت الى داخل جو المطعم الحار ،

المشحون بالدخان ، متبوعة بسارجيو الذي كان ينظر من حوله باشمئزاز فيما كان يغلق مظلته . وكان هذا المطعم يتألف من صف من الغرف الصغيرة الدقيقة . وفي الغرفة الاولى وهي اكبر من الغرف المتبقية ، كانت ثمة طاولة مركزية ، وكانت توجد عليها اهرام من البرتقال ، وبضع ربطات من نبات الشمار ، وصندوقة واسعة للثلج ، مصنوعة من خشب قاس ، وعليها بوقان فاخران . ولاحظ سارجيو بأن جميع الزبائن كانوا يشبهون بطريقة ما ، إما ألبينا او لوشيانو : كانت النساء صغيرات، ومتصنعات كثيرا ، ويلبسن اثوابهن بشكل سيىء . أما الرجال فكانوا يبدون داعرين ، منهمكين ، ويرتدون ثيابهم بمباهاة وبكياسة مبهمة . وسارت ألبينا من غرفة الى غرفة ، وعلى الدوام كانت تتلقى التحية من واحد او اثنين من هؤلاء الزبائن القباح . وبدا عليها انها كانت تبحث عن شيء ما ، او عن احد الاشخاص . وعندما بلغت الطرف القصي من المطعم ، أومأت لسارجيو كما لو انها كانت تقول : « لقد وجدت ما كنت اريد ! »

وسار سارجيو متقدما بدوره ، ووجد غرفة صغيرة اشبه ما تكون بصومعة ، تحتوي على طاولتين صغيرتين فقط . وكانت احدى هاتين الطاولتين شاغرة ، وقد جلست ألبينا اليها . اما الطاولة الاخرى فقد كان يجلس اليها لوشيانو مع احدى النساء .

وفكر سارجيو « أه ، اذن هذا هو الامر . » ولم يبدُ على لوشيانو انه فوجىء برؤيته ، فقال له بصوت هادىء « مرحبًا يا سارجيو ! » ومضى سارجيو الى طاولة البينا وقال لها بصوت خفيض وهو ينحني الى الامام : « هيا بنا نذهب ... ارى ان لوشيانو هنا . »

فأجابت وقد كانت تتظاهر بأنها تدقق بقائمة المأكولات ورأسها مطأطأ « انه لاكتشاف مبهج ! »

« هيا بنا لنمضي الى مطعم سبلانديد . » قال سارجيو مقترحا وهو يظن بأن فكرة الذهاب الى مطعم باهظ الاسعار ، قد تقنعها على اللحاق به .

رفعت رأسها وراحت تحدق اليه بدهشة كاذبة ، وقالت « لماذا ؟ ان المكان جد مناسب هنا ! »

وهكذا لم يكن عليه الا ان يجلس ، فخلع معطفه ووضعه مع مظلته وقبعته فوق احد المقاعد . لقد كانت الطاولتان مثبتتين بمواجهة بعضهما تماما ، وكان من المستحيل على الاشخاص الاربعة الذين يشغلونهما الا يحدقوا الى بعضهم . وكان يجلس والبينا فوق مقعد مستطيل ، ظهره ملتصق بأحد الجدران ، وعلى مقعد مستطيل كذلك ، ظهره ملتصق بالجدار المقابل ، كان يجلس لوشيانو ورفيقته . وكانت تعلق فوق المدخل ستارة حاجبة ، تزيد من الشعور بالمودة والعزلة .

وكان سارجيو مدركا تماما ، في هذا الوقت ، بأنه ليس سوى بيذق(١) في لعبة غيرة ألبينا ، ولم يكن معلوما كذلك من اي وقت قد بدأت هذه اللعبة . ومع ذلك فقد سلم ، وهو ينظر الى ألبينا ، بالامل بأنه سيقوم هو بنفسه ، بدور المتفرج المثالي في هذه اللعبة ، بحيث يحصل منه على فائدة أكثر من المناظرين . وبتفسير اخر ، بأنه سينجح بحيازة ألبينا ، مهما كان السبب الى هذا النجاح . وقال يخاطب نفسه باحتقار « اني ابله ! » .

ومع انه قد خلع معطفه ، فقد كان يشعر بالحر اكثر من السابق . لقد كان الهواء خانقا داخل المطعم ، وهو مشحون بالدخان وبرائحة الطعام . ومرة اخرى تستولي عليه ، في هذه الحرارة ، فكرة المغامرة التي سيقوم بها مع ألبينا ، كوسيلة سريعة ومفرحة لتحرير نفسه من جوربه الصوفي ، لتمزيق ثيابه فوق ظهره ، وللمكوث عاريا في جو بارد في احدى الغرف المأجورة القذرة . وكانت البينا اثناء ذلك قد استدعت النادل ، وكانت تقوم بطلب ما كان يبدو دائما لسارجيو بأنه وقور للغاية ، وهو عشاء هائل . مقبلات ، سباغيتي ، ولحم مقلو مع بطاطا . اما بالنسبة للحلويات ، فقد اضافت بانها ستقرر امر اختيارها فيما بعد . ولم يستطع سارجيو ان يتمالك نفسه من الاعجاب بهذه الشهية

(١) Pawn : بيذق في لعبة الشطرنج .

الخارقة ، التي لم تكن حتى الغيرة بقادرة على التأثير عليها . وسألها وهو يستدير نحوها « هل انت جائعة ؟ »

فأجابته بتهجم « أجل ، بالطبع أنا جائعة ! »

وكان من الصعب جدا أن يجلس الزوجان وجها لوجه دون أن يتبادلا النظرات . وقرر سارجيو بعدما حاول عبثا ان يتحاشى تحويل عينيه نحو الاثنين الاخرين ، قرر بأن في وسعه أن يلقي اليهما نظرة صريحة ، مثلهما . كان لوشيانو يجلس في وضع جانبي بحيث رآه من الناحية الجانبية . على أن المرأة كانت تجلس بمواجهته تماما . كانت امرأة ذات هيئة شاذة ، وقد اثارت في سارجيو غريزة حب الفضول لفترة من الوقت . كان شعرها اسود ، ولها وجه مستطيل صارم الملامح ذو لون اصفر نحاسي . وكانت عيناها كبيرتين سوداوين ، جامدتين وواسعتين ولكنهما غير مرئيتين ، وكانتا براقتين وغير معبرتين مثل حجرين . اما انفها الطويل فقد كان اقنى ولكنه عريض عند الخنابتين ، وفمها بتعبيره المحتقر وزاويتيه المتجهتين نحو الاسفل ، كان يضفي على وجهها هيئة الرجولة . كانت تبدو طويلة ، وذات كتفين عريضتين ، وصدر جميل التكوين للغاية ، مضغوط جيدا بثوب حريري اسود ذي ياقة وطيئة . اما الذي ادهشه في وجهها اكثر من سواه هو لون البشرة الاحمر والتعبير القاسي الجامد . وكان لوشيانو يجلس الى جانبها وهو يبدو ضئيلا وشاحبا ، وحتى البينا كانت تبدو ، كأمرأة ، نحيلة . ولم يصحُ من افكاره هذه الا على أثر لكزة تلقاها في ضلوعه من مرفق ألبينا . وقالت له بصوتها المعتاد بحيث يتمكن لوشيانو من سماعها :

« هل تدري من هي تلك المرأة ؟ انها امرأة مكسيكية تغني في تياترو نيافو .. هل تعتقد انها جذابة ؟ »

فأجاب سارجيو وهو يخفض صوته « كلا ! »

« انها بشعة ، اليس كذلك ؟ انها ذات بشرة حمراء .. وتبدو طويلة وهي تجلس على هذا الشكل ، ولكنها عندما

تقف تبدو كما لو انها ستغرق في الارض .. كما لو ان قدميها مبتورتان . »

« لماذا تتكلمين بصوت عال هكذا ! »

فأجابت البينا وهي تهز كتفيها « على كل حال ليس في وسعها أن تفهم ، اذ انها لا تفهم سوى الاسبانية ... وتدعو نفسها باسم رجل : كونشيلو . »

« ليس هذا باسم رجل ، انه اسم امرأة ومعناه سلوى . »

وقالت البينا بخبث « ان لوشيانو يعزي نفسه بها لاني قد تخليت عنه ! »

ومن جديد القى سارجيو نظرة على الاثنين اللذين كانا يجلسان بمواجهتهما ، ولاحظ انهما قلما كانا يتخاطبان . كانت المرأة المكسيكية تأكل برصانة ، وكان لوشيانو بين الحين والاخر يوجه اليها بعض الملاحظات المختصرة مصورا معناها باشارات من يده . ولكنها كانت قضية اشياء بسيطة مثل « هل تودين ان تشربي شيئا ؟ .. هل تحبين تلك .. بعض الخبز ؟ ... »

كان النادل قد اتى بالباستا أشيوتا ، وكانت البينا بالرغم من غيرتها ، قد ازدردت مقدار طبق مليء منه . وعلى الفور طفقت تدير شوكتهافي عرمة معقدة وهائلة من السباغيتي قربتها من فمها دون ان ترفع عينيها عن المرأة المكسيكية اطلاقا . اما هذه فقد جعلت لوشيانو يملأ لها قدحا من النبيذ ، ثم بدأت تشرب وهي ترسل لرفيقها من فوق كأسها ، اشارة ذات مفهوم عاطفي ، جدي وشعيري تقريبا . وأخذ لوشيانو منها الكأس بدوره ، وراح يشرب كذلك وهو يضع شفتيه حيث كانت هي قد وضعت شفتيها . ودمدمت البينا بغضب وفمها مليء بالسباغيتي «انظرفقط ، أي غبي يجبان يكونه هذا الرجل ! »

وبكيفية ما ، لم تفشل في أن تفرغ طبقها ، ولكي تنتهي منه فقد مسحت ماتبقى فيه من صلصة ، بقطعة من الخبز . وقالت بصوت عال وهي تدفع بالطبق الفارغ بعيدا « والان سنمضي

الى المنزل . »

وادرك سارجيو تماما بأنها كانت تتكلم كيما تسمع الاخرين، ليس الا ، ومن الممكن الا تكون عالمة بما كانت تقوله حتى . وبكيفية ما ، لم تفشل في أن تفرغ طبقها ، ولكي تنتهي منه لا تريدينني ! »

فقالت البينا بصوت عال « لقد غيرت رأيي الآن ! فضلا عن اني دائما كنت احبك ... اكثر من لوشيانو . »

« لا تصرخي بصوت عال كهذا ! »

« انت لست وغدا مثله . انك رجل ظريف . مطلق شخص يستطيع أن يلاحظ ذلك ! »

وأخذ لوشيانو يد المرأة المكسيكية التي سمحت له بأن يمسكها بكل رضى ، ورفعها الى شفتيه وهو ينظر اليها بخبث ، ثم عضها لها . وابتسمت المرأة المكسيكية وهي تظهر عن اسنان بيضاء حادة ، شبيهة باسنان ذئب . وعاد لوشيانو ليقبل يدها ، في المكان الذي كان قد عضها فيه . وقالت البينا لسارجيو بمودة غير متوقعة « لقد ابتعت لك رباط عنق ، والآن سألبسك اياه . »

ودهش سارجيو لهذا الموقف الارتجالي فشرع يقول :

« ولكن .. ولكني .. »

« هيا ! لا تكن احمق .. ليست بك حاجة للخجل ! »

وانتشلت البينا العلبة التي تحتوي على رباط العنق من حقيبتها ، ثم حلتها بكبرياء حقودة . وفكر سارجيو بانه يلقي عقابه لانه قد سر لبشاعة هذا الرباط الذي كان سيتسلمه لوشيانو من البينا . ولم يكن هو بالذي عليه ان يرتدي الان هذا الرباط الحريري المرعب ، عوضا عن لوشيانو وحسب ، وانما هو الذي كان قد دفع ثمنه كذلك . وفيما كانت البينا تبتسم بازدراء ، اعادت ياقته الى الوراء وحلت رباطه القديم ثم البسته الرباط الجديد ذا العقدة المرخية للغاية . وقالت وهي تسير الى الوراء لتبدي اعجابها به « انه رباط يناسبك تماما » .

فشد سارجيو العقدة وقال « اعيدي الي الرباط القديم ، على الاقل ! »

ولف لوشيانو ذراعه حول وسط المرأة المكسيكية ، وهو يضحك ويهمس باحدى النكات . وكبحت المرأة المكسيكية ضحكها بعجز بأن ابدت ملاحظة سديدة بصوت دافىء خشن . ثم وبحركة سريعة رمى لوشيانو بنفسه فوقها وطبع على عنقها قبلة طويلة . كانت المرأة تجلس هادئة تماما ، فيما راح لوشيانو يمتص لها عنقها، تحت اذنها مباشرة . وبعد ان ابتعد عنها لوشيانو برأسه ، هزت جسمها كله ، ثم نظمت من شعرها ، كما تنظم الدجاجة من ريشها بعد هجوم يقوم به الديك عليها ، بالتمام . وجاء النادل لالبينا باللحم المقلو ، وكان يحمل طبقا اخر لطاولة لوشيانو . فسألته البينا « هل هذا للسنيور لوشيانو ؟ »

« اجل ! »

« انتظر دقيقة ! » قالت البينا ثم اخذت وعاء الفلفل وهو على شكل دجاجة صغيرة مصنوعة من الفخار ، وفي رأسها ثقوب ، وفتحته وبسرعة رمت بكل ما فيه من الفلفل داخل طبق لوشيانو . وكان الطبق يحتوي على قطع من اللحم مع صلصة . وارتعب النادل وقال : « ما هذا الذي تفعلين ؟ »

« لاتجزع . سأتحمل انا مسؤولية ذلك . » وكان سارجيو قد دهش ايضا . وشرعت البينا في التهام اللحم المقلو وعيناها مثبتتان على لوشيانو . ولما لم يكن هذا قد رأى ما فعلته بوعاء الفلفل ، فقد قص له قطعة من اللحم برباطة جأش عظيمة ثم رفعها الى فمه . وللمرة الثانية لكزت البينا سارجيو بمرفقها على ضلوع خاصرته ، وهي تكبح ضحكتها . « الآن سترى أي مشهد سيكونه ... انه جد نكد بشأن طعامه ! »

ولكن لوشيانو لم يفتعل أي مشهد . اذ بعد اللقمة الاولى القى بسكينه وشوكته فوق الطبق ، وشرب نصف كأس من النبيذ ثم اشعل لنفسه لفافة . وقالت البينا وهي تكبح انفجار ضحكة اخرى « فكر فقط كيف أن فمه يحترق الآن ! لكنه

متكبر للغاية ، بحيث انه يفضل الموت على ان يظهر ذلك ! »

ودخل احد الرجال وهو شاب اشقر الشعر ، يرتدي سترة رثة ، وبدون قبعة ، يحمل معه حقيبة ليفية . وفتح الحقيبة وبدون أي كلمة، شرع يخرج منها تماثيل ملونة مصنوعة من الجبس ويضعها فوق طاولة لوشيانو . وفي الحقيقة لم يبدُ على المرأة المكسيكية أنها متشوقة لامتلاك أيٍ من هذه التماثيل . الا ان لوشيانو اصرّ على أن تتقبل منه تمثال كلبٍ ابيضَ وأسود . وفجأة أحس سارجيو بيد البينا تبحث عن يده تحت الطاولة . وأمسكت بيده ثم هتفت بصوت عال «أف، كم انت لجوج ! اليس في وسعك ان تنتظر ، على الاقل حتى نمضي الى المنزل ؟ »

ارتبك سارجيو وحاول ، بالفطرة ، أن يحرر يده ، غير ان البينا تشبثت بها بشيء من الحزم . وقالت له « هل تود أن تتركني وشأني ؟ » واذ نطقت بذلك رمت بنفسها عليه وهي ما تزال تمسك بيده بشدة ، وقد تظاهرت بأنها تحاول التخلص منه. وشعر سارجيو في هذه المرة بأن عليه أن يستفيد من هذا التظاهر ، وهكذا حاول ان يلف يده حول وسط البينا . لكنها دفعته عنها. وسأل لوشيانو المرأة المكسيكية بصوت عال « فاكهة ؟ حلوى ؟ »

« حلوى ! »

وقالت البينا بصوت ملؤه الغيظ « وأنا اريد حلوى ايضا !» وبعد برهة جاء النادل بقطعتي الحلوى للمرأتين . أما لوشيانو وسارجيو ، من ناحية ثانية ، فقد طلبا فاكهة . وكانت قطعتا الحلوى مصنوعتين من الكريم ، فأكلت المرأة المكسيكية قسما من قطعتها، ثم أطفأت عقب لفافتها في ما قد تبقى. أما ألبينا فقد التهمت ، ورأسها منخفض الى اسفل ، كل قطعتها ، باندفاعها المعتاد الشبيه بالاندفاع الحيواني ، ثم قالت بتنهيدة رضى وهي تضع يدها فوق معدتها « أوه ! لقد أكلت كثيرا ... وهذا الثوب جد ضيق .. » ورمت بنفسها الى الوراء فوق المقعد ،

وحاولت أن تفك محبس سحاب « تنورتها » على طول وركها . الا ان « التنورة » كانت جد ضيقة بحيث لم تستطع ان تقوم بذلك . فقالت لسارجيو « هل تود أن تحل لي محبس السحاب ؟ » فانحنى وامسك « بالكلاب » الصغير وشده نحو الاسفل . وعلى الفور برز من « التنورة » بطن البينا المستدير والفتي ، وكانت سرّة البطن مرئية بوضوح من خلال حجاب قميصها الداخلية الخضراء الشفافة . وسأل لوشيانو المرأة المكسيكية : « قهوة ؟ » فأجابته « اجل ! قهوة »

كانت البينا تجلس الان ونصف بطنها بارز خارج «تنورتها» ومن خلال شق في جانب واحد من قميصها الداخلية ، كان يبدو وركها العاري أسمر ودافئا ، بالاضافة الى ثنية حقوها الممتلئة . ودخل عليهم اثنان من عازفي الموسيقى ، رجل وامرأة ، وكان الرجل كبيرا فى السن ، ضئيلا ونحيلا ، وذا وجه مستطيل . وكان معطفه الاسود ينحدر حتى قدميه ، ويرتدي قبعة كبيرة هابطة الى فوق اذنيه . أما المرأة فقد كانت تناهز الستين ، وكانت طويلة القامة وجميلة ، ترتدي الثياب السوداء ، ولها وجه بارد حزين . وأخرجا آلتيهما من علبتيهما وراحا يعزفان اغنية قديمة . وقالت البينا بصوت عال « تلك المرأة المكسيكية الجالسة هناك كان يجب الا تغني في التياترو ، وانما كان ينبغي ان تتسكع مثل هذين الموسيقيين وهي تنقل الادوات الموسيقية ... لو تعرف فقط كم هو غناؤها مناقض للحن ! »

وسأل سارجيو بطريقة عَرَضية «هل هي تغني بالاسبانية؟»

«أجل ، بالطبع ، لقد سبق وأخبرتك بأنها لا تعرف سوى الاسبانية . »

وانتهى الاثنان من اغنيتهما ، فأومأ اليهما لوشيانو ، وسارا الى طاولته ، وقد رفع الرجل المسن قبعته ، وتكلم لوشيانو معهما ثم مع المرأة المكسيكية ، وقد حاولت هذه الاخيرة ان تحتج الا انها وافقت في النهاية . وركز الموسيقيان آلتيهما وهما يقفان بالقرب من طاولة لوشيانو ، وشرعا يعزفان لحن اغنية اسبانية

مشهورة تماما . وظلت المرأة المكسيكية جالسة ، وبقيت بدون حراك لفترة كانت خلالها تحدق الى فضاء الغرفة بعينيها السوداوين الغريبتين والوسيعتين . ثم بدأت تغني ، وكان صوتها خشنا ، دافئا ، وغنيا بالآهات التي كانت في الوقت عينه كئيبة وساخرة وشبقة . وكان صوتها ، في طبقاته العليا يكتسب نغمة الشراسة ، والعمق الزائد ، والحزن ، بحيث يبدو غضبا ومتنافر النغمات من جراء الوقع المبتور في القرار . وفي البدء شعر سارجيو بالدهشة ، ثم بالاعجاب ، واخيرا تأثر بالرغم من أنفه . وفكر بأن ذلك قد يكون بسبب مصائب المساء ، أو بسبب انعطاف العقل الوقتي الذي كان لفترة طويلة ، مجذوبا ومنغمسا في العادات الحقيرة التي لم تكن لتفسح للعاطفة الا مجالا صغيرا . وكانت المرأة المكسيكية وهي تغني ، تثبت عينها على الموسيقيين ، وبين الحين والآخر كانت تؤشر لهما بيدها مستحسنة او سائلة اياهما أن يرفعا من لحنهما . وكان قد بدا عند المدخل بعض من زبائن المطعم ، وقد راحوا يستمعون بصمت . ولم يبدُ على لوشيانو أنه شاعر بروعة الغناء . كان يدخن لفافته بشيء من الريبة والقلق المزوجين ، وكان واضحا أن غايته من جعل المرأة المكسيكية تغني هي في ان يجعل من ألبينا غيورا .

وانتهت المغنية من الاغنية ، وجلست هادئة تماما ، وكانت عيناها غير مرئيتين ، وقد شبكت يديها في حجرها . وفي الحال ابدى المستمعون عند المدخل استحسانا صادقا . ولوشيانو ايضا ابدى استحسانه ولكن بطريقة تدل عن تنازل منه ، وبدون ان ينتزع اللفافة من فمه . وصفق سارجيو بشدة . أما البينا فقد وضعت اصبعين في فمها وصفرت مثل صبي الشارع .

وتبع الصفير الطويل والحاد هدوء شامل . وحدقت المرأة المكسيكية الى البينا وكأنها تراها للمرة الاولى ، ثم هبت واقفة واقتربت من طاولة سارجيو ، واكره سارجيو على التحقق من ان البينا قد كانت على حق : اذ عندما وقفت المرأة المكسيكية بدت قصيرة ، قصيرة للغاية في الحقيقة ، مع أنها كانت عريضة الكتفين ،

ولها صدر واسع ، وجميل التكوين . وأحنت نفسها امام ألبينا وتفيأت سيلا من الكلمات الاسبانية غير المفهومة . ومع ذلك فقد ظلت محتفظة ، حتى وهي تتكلم بمثل هذه الشدة ، بعينيها جامدتين وبوجهها ساكنا .

وهتفت ألبينا « اني لا افقه أية كلمة . والأمر لا يهم بالنسبة الي على العموم .. الناس يصفرون في التياترو ، أليس كذلك ؟ ان لي الحق بأن اصفر بقدر ما اريد ! »

وامسكت المرأة المكسيكية بكأس سارجيو الملأى وقذفت بالنبيذ في وجه ألبينا . وتبع ذلك مشهد فوضوي . اذ ان البينا قفزت من مكانها والنبيذ يسيل على وجهها وعنقها ، وحاولت أن تقذف بنفسها على المرأة المكسيكية . ولم يمنعها من ذلك سارجيو الذي شد بها بيده وحسب ، وانما منعتها من ذلك ايضا «تنورتها» المحلولة التي كانت تسقط عن جسمها . فصرخت «حمراء البشرة ! اتركني ، اريد ان اقتلع عيني تلك المرأة ذات البشرة الحمراء !»

ظل لوشيانو جالسا بدون حراك ، وهو يدخن بشيء من اللامبالاة المريبة والمتكبرة . وتدريجيا تحركت المرأة المكسيكية عائدة الى طاولتها ، ووقفت هناك هادئة وصامتة تحدق الى ألبينا. وكان بعض الزبائن قد دخلوا الغرفة الصغيرة ، والبعض الاخر كانوا ينظرون الى الداخل وهم يقفون عند الباب ، والجميع كانوا يسألون عما حدث . وأخيرا استدعى لوشيانو النادل ودفع له الحساب ثم أومأ للمرأة المكسيكية بيده وغادر المطعم بصحبتها .

ومضى النُدُلُ والموسيقيان في سبيلهم . وعادت ألبينا لتجلسَ من جديد وهي مقطوعة الانفاس ، وراحت تمسح النبيذ بفوطة المائدة . وكان قد سقط بعض من النبيذ فوق بطنها ، واذ كانت قميصها الشفافة تلتصق به ، كانت تكشف عن كرويته الفتية الممتلئة . وقال سارجيو «لقد اخبرتك بأنه من الافضل الا نبقى هنا ! »

ولشد ما كانت دهشته كبيرة اذ رأى بأنّ غضب ألبينا

قد خمد كليا ، وسألته «هل تحبني ؟»

فأجاب سارجيو متضايقا «أجل!»

«هل تود الذهاب معي الى السرير؟»

« طبعا أود ذلك! »

«حسنا ، اذن لا تفكر الا بذلك ، ولا تدع أي شيء آخر يضايقك!»

كان سارجيو واثقا الان بان البينا ستسلمه نفسها في تلك الليلة ، ولو ان ذلك كان بقصد الانتقام من سارجيو حتى . كانت غرفتهما الصغيرة خالية الان ، ولا يمكن رؤيتهما من الغرفة المجاورة . فوضع ذراعه حول وسط ألبينا وشدها اليه كيما يقبلها . وفي هذه المرة سمحت له بأن يقبلها ، وفي النهاية اعادت اليه القبلة بطرب ، كانت تنبعث منها رائحة النبيذ بشدة ، ولم تكن كريهة ، وانما ساذجة ولا حول لها . وعندما ابتعدا عن بعضهما قالت ألبينا وهي ترفع محبس سحاب تنورتها :«اذن، هل نمضي؟»

ودفع سارجيو الحساب ثم اندفعا الى الخارج . كان المطر قد توقف الان ، وكانت حجارة الارصفة السوداء في الشوارع تلمع تحت نور المصابيح الكهربائية ، وكان الهواء راكدا ، الا أنه كان حارا ، اكثر حرارة من السابق . ومن جديد راح سارجيو ينظر بشيء من الفرج الى اللحظة التي سيخلع فيها ملابسه في غرفة ألبينا . وكانت هذه الاخيرة تسير على مسافة منه ، وكأنها بمفردها ، ويداها في جيبي معطفها ، ووجهها محني الى الامام وقد بدت مطرقة . وقد جعلها حذاؤها الجديد بنعليه السميكتين ، تبدو ضئيلة وبدينة . وسألها سارجيو «هل لنا بشرب بعض القهوة أولا ؟»

واقتربت منه والقت بيدها حول وسطه بطريقة مكرهة نوعا ما . وقالت «كلا ! لنمضِ الى المنزل .. ولكنك ستبقى معي طوال الليل ، اليس كذلك؟ »

كانت تتكلم بصوت حزين وكأنها كانت تنتحب تقريبا .

وأجاب سارجيو وهو يلفّ ذراعه حول وسطها بدوره : «أجل.. طبعـا!»

وخلصت الى القول بلهجة استعطاف : «سننام معا ، وغدا صباحا يمكنك أن تمضي في سبيلك متى شئت .. وفي وسعك أن تبقى في السرير حتى منتصف النهار اذا اردت ذلك !»

وسارا عبر عدة شوارع وازقة ، ثم بلغا البناية حيث تسكن ألبينا ، وذراعُ كلٍّ منهما ما تـزال تلف وسط الآخر ، وشرعـا يرتقيان السلّم . وفي الطابق الاول قبلها سارجيو في عنقها ، ولم تقل ألبينا شيئا .

وبلغا باب المنزل الصغير الاسود ، ففتحته ألبينا بمفتاحها الخاص ودلفت الى الممر ، وتبعها سارجيو وهو مثقل بمعطفـه ومظلته كالسابق . وفتحت ألبينا باب غرفتها وصرخت «آه ! انظر الى ذلك ! ماذا تفعلان هنا ؟».

كان صوتها مليئا بالبهجة . ونظر سارجيو داخل الغرفة ، فرأى اولا ، المرأة المكسيكية وهي تجلس فوق الكنبة وقد بدت سيئة المزاج . ثم رأى لوشيانو وهو يجلس الى طاولة الزينـة ووجهه متحول الى الباب . كان وضع لوشيانو تقليديا ، وفـي الوقت عينه سيىء التهذيب وهو يجلس هناك وعلى وجهه ابتسامة وقحة مريبة، ولفافته بين اصبعيه . وشعر سارجيو بأن في وسعه أن يتذكر منظرا شبيها بهذا في أحد الافلام . وقال لنفسه وهـو منفعل «تلك هي اللعبة». ودخل الغرفة .

ومضت ألبينا رأسا الى لوشيانو واتخذت مجلسها الى جانبه ويدها على كتفه ، وبدت في هيئة تحدٍّ أمام سارجيو والمـرأة المكسيكية . وكممثل رديء تماما ، سحب نفسا طويلا من لفافته ثم نفث سحابة من الدخان أمامه وقال بصوت متشدق متصنـع: «رائع ! رائع ! هذا رائع حقا .. اذن أنا كنت على تمام الصواب، ألم أكن كذلك ؟.. لقد كنت تحن الى ذلك فقط . صديق مـن النمط الطيب، ينبغي أن أقول.. »

شعر سارجيو بأنه يحمر خجلا . لم يكن يؤثر فيه كثيرا أن

يقبض عليه بالجرم المشهود ، بقدر ما كان يؤثر فيه أن يجـد نفسه في موضع الدونية بالنسبة لرجل يحتقره هو . وفكـر ، بكيفية ما ، بأن هذه كانت ريحا سيئة ولا تأتي للشخص بأي نفع! من المؤكد أن هذه هي اللحظة المناسبة لقطع العلاقة مع صديقه . وهكذا قال وهو يرغم نفسه على الكلام بلهجة حانقة « على كل حال أنا لست صديقك !»

فقال لوشيانو بلهجة تمثيلية «حسنا ، ماذا اذن ؟»

استطرد سارجيو «وفضلا عن ذلك ، ألبينا ليست زوجتك. فهي حرة في أن تمضي مع أي واحد تشاء . وقد طلبت الي أن أصعد الى هنا ، فجئت ».

فسأل لوشيانو وهو يستدير نحو ألبينا «هل هذا صحيح؟»

كل شيء كان يجري وكأنه مشهد في أحد الافلام تماما . وانفجرت ألبينا بتكذيب عنيف :« كلا، ليس صحيحا! انه كذاب! اذ هو الذي ظل مصرا . أنا لم أكن احب ان يأتي الى هنا اطلاقا.. لقد شق طريقه عنوة الى الداخل!» وكانت قد أخذت يد لوشيانو وراحت تقبلها من الناحيتين بشيء من الجنون .

وقال لوشيانو بضحكة ساخرة «اذن أنت كذاب أيضا! »

فهتف سارجيو بتوقد «أمضِ الى الجحيم!»

وهبّتِ المرأة المكسيكيـة من على الكنبة ومضت نحـو سارجيو ، وتفوهت وهي تلقي بيدها فوق كتفه ، بشيء لم يفهمه سارجيو ، ولكنه ترجمه على النحو التالي : «دعك من الامر .. من الافضل لك ان تمضي.» فدفع بها عنه واستطرد قائلا بغضب «ليكن في علمكَ منذ الآن فصاعدا بأنّ كلّ شيء بيننا قد انتهى . واذا ما حدث وصادفتني ، فاني أمنعك كليـا من ان تحييني أو تتكلم الي .. »

فقالت المرأة المكسيكية وهي تحاول أن تسحبه باتجـاه الباب «هيـا»

واجاب لوشيانو بلطف غير متوقع «لا تغضب . لم يقع أذى. اذ سنبقى نحن جميعا أصدقاء كما كنا تماما .. وبعد كـل

شيء ، فالانسان هو انسان فقط ، لقد جذبتك ألبينا .. ولكن في وسعك أن تمضي الان مع كونشيلو . لقد سبق وتكلمت اليها عنك، وهي تحب مظهرك .. كونشيلو اذهبا معا أنتما الاثنان . اذهبا ومارسا العملية الجنسية .»

وقام باشارة معبرة من يده . لكن المرأة المكسيكية هزت كتفيها وأجابته بعبارة كانت محقرة وجارحة بلهجتها ، كما لو أنها تحاول أن تجعله يفهم بأنها لم تكن لتتقبل أية نصيحة منه ، وانما ستعمل حسب مشيئتها . وشرع لوشيانو بالضحك ، أما وقد تأكدت ألبينا الان من حصولها على مأربها فقد تركت يده ومضت الى خلف طاولة الزينة ، وبدأت تخلع معطفها . ونجحت المرأة المكسيكية في ان تخرج سارجيو من الغرفة بجذبه من ذراعه ، وعندئذ اقفلت الباب .

نطقت ببضع كلمات بالاسبانية ، كما لو أنها تقول الوداع ، ثم مدت له يدها ، وسلم عليها سارجيو بطريقة اتوماتيكية . وادارت له ظهرها وقصدت الى باب يقوم في وسط الممر . اذن من الواضح أنها تقطن في المنزل ذاته مثل ألبينا . وفجأة أحس سارجيو بحريق في وجهه وأذنيه ، وداهمته من جديد تلك الرغبة العنيفة عينها ، في أن ينضو عنه ملابسه ، وقد كانت تتعقبه طوال المساء . فركض في اثر المرأة المكسيكية التي كانت على وشك أن تدخل غرفتها ، وقدم لها لفافة من العلبة التي انتشلها من جيبه. فأخذت واحدة ، وبدون أن تنبس ببنت شفة ادخلته الى الغرفة واغلقت الباب خلفهما .

كانت غرفة مربعة الشكل ، صغيرة وجد منخفضة ، مفروشة بذات الاثاث العتيق الرث الموجود في غرفة ألبينا . والفرق الوحيد الذي كان هنا ، هو ان في مكان الكنبة كان يوجد سرير مزدوج ذو غطاء أبيض ، واطار حديدي مجعد أسود اللون . وكانت النافذة المنخفضة المستطيلة تبدو أنها تطل من تحت افريز داكن ، وعبر الزجاج كانت تمكن رؤية انعكاس متذبذب لاشارة نيون . وهذا الانعكاس كان يلقي خطوطا حمراء وارجوانية فوق

جدار الغرفة المواجه للنافذة ، وعلى السقف . وراحت المرأة المكسيكية تسير في الغرفة جيئة وذهابا وهي تتكلم الان بدون توقف ، بلهجة خشنة حيوانية ، وكانت تلقي عليه ، كما يبدو ، محاضرة أم. وبدت أنها تقول له بتلك الطريقة الموجزة السريعة والحامية «انك لصبي مزاح وطائش حقا . الم تدرك بأن البينا لم تكن لتفكر بأحد سوى لوشيانو طوال الوقت؟ أما الان فأنت معي هنا ، ولسوف افعل كل شيء كيما أؤاسيك .»

أشعره صوتها بالارتياح ، مع انه لم يفقه كلمة من كل ما نطقت به ، وتذكر كيف كانت قد غنت ، وكان يشعر بالرغبة العظيمة في أن يسمعها تغني مرة ثانية . وفي اثناء ذلك كانت هي قد توارت خلف ستارة كان واضحا أنها تخفي المغسلة وراءها .

وشرع يخلع ملابسه بشعور كبير بالراحة، فنزع عنه معطفه أولا ، ثم حذاءه وجوربه . ومن قدميه اللتين كانتا حمراوين ومنتفختين سرت البرودة حتى عقله ، وللحظة جلس يحدق اليهما بلذة وهو يحرك اصابعه. وخلع سترته، ثم قميصه وثيابه الداخلية، فشعر بان جسمه ، مثل قدميه ، كان قادرا على التنفس من جديد. وعندما اصبح عاريا مد قدميه واشعل لفافة ، وللمرة الاولى خلال فترة المساء كلها ، شعر بانه مرتاح .

ولكنه لم يكن يشعر بالرغبة للجماع . وتمنى لو أنه كان يعرف الاسبانية وفي وسعه أن يخبر المرأة المكسيكية بأنه يود أن يسمعها تغني . ونظر الى الزاوية حيث المغسلة ، فرأى بأن ملابسها قد تكومت جميعها فوق اعلى الستارة . ثم خرجت من ورائها .

أما الان وقد اصبحت عارية تماما ، فقد بدا مظهرها الاقعى الغريب اكثر وضوحا . واحس وهو يراقبها فيما تسير نحوه عبر اشكال البلاط الحمراء والسوداء ، احس بأن من تقترب منه كانت تمثالا لاحد آلهة الازتيك الذي حدث له ورآه ذات مرة في أحد المتاحف . ومثل ذلك التمثال كانت للمرأة المكسيكية قدما مكتنزتان قصيرتان في الواقع مكتنزتان وقصيرتان للغاية، ب

توحيان اليك بان قدميها منتصبتان بركبتيها ، وفوق هاتين القدمين كان جسمها الطويل غير المتناسب ، ينتصب مستقيما بطريقة كانت تبدو غير طبيعية . وكانت ساقاها مسطحتين ، وبطنها كبيرا وبارزا ، وسرته غارقة في اللحم . وكان ثدياها مستديرين مثل قرعتين . وكان الحلمتان ، وكانا يبرزان جامدين وثابتين ، يتجه احدهما الى هذه الناحية والاخر الى تلك . وفوق عنقها الطويل ، التي تلتف حوله ضفيرة خفيفة سوداء من شعرها ، كان وجهها ساكنا بدون أن يكون فيه اي تعبير . وبدت من أمام النافذة ، التقت انوار الشمس انعكاسها فوق وجهها وصدرها ، وكان انعكاسا احمر وارجوانيا كقطعة وشم بربرية . وكانت ثمة «منشفة» مطروحة فوق فراشها ، فقدمتها الى سارجيو وهي تومىء الى ناحية الستارة ، كما لو أنها كانت تدعوه للغسيل . لكن سارجيو رفض «المنشفة» قائلا : «كلا ، كلا ، لن نمارس العملية الجنسية ... غني ، غني !» وفغر فاه وألقى بيده فوق صدره .

وعلى الفور فهمت قصده وابتسمت برسمي اختصاصي ، فرمت «بالمنشفة» فوق السرير وانحنت نحوه . وفيما كانت تأخذ له ذقنه بكفها ، كما يفعل المرء مع صبي صغير ، وجهت اليه بعض الكلام بصوت ملاطف نشيط ذي لهجة اطراء زائف . ثم لطمته لطمة خفيفة على خده ابتسم لها سارجيو بامتنان . وجلست فوق السرير ، على مسافة قريبة منه ، وامسكت بيده فيما كانت تستريح فوق الغطاء ، وكانت يدها كبيرة ، خشنة وباردة . واحتضنت يده ومدت قدميها ، وللحظة راحت تحدق أمامها بعينين سوداوين لامعتين ، ثم شرعت تغني وهي تنفخ صدرها كما لو أنها كانت تقوم بعملية تنفس مفاجىء .